أحمد حسين

المحامي

إنسانيات

دار الإرشاد

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ٦٢٤٧ - بيروت

إنسانيات

اهداءات ٢٠٠١
ا.د. محمـــــد ديـــــاب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

الطبعة الأولى
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

من هو أحمد حسين ؟

ولد أحمد بالقاهرة قبل نحو ستين عاماً، في محيط من أوساط الناس الطيبين ، ومن أسرة كريمة سرية غير ثرية ، وقد تميز بالنبوغ منذ شبابه في معهد الحقوق بالجامعة المصرية ، وامتاز بين أقرانه بالألمعية والشخصية الفذة . وكان منذ أيام التلمذة معروفاً بين أقرانه بفصاحته وبقوته الخطابية وسلامة منطقه .

والخلاصة أن علمه كان في ذلك السن لا يقل كثيراً عن علم بعض أساتذته أنفسهم .

ثم أنه في أيام فتوته كان معروفاً بوطنيته وإسلاميته ، وتقواه ، حتى أنه أدى فريضة الحج في سن مبكرة .

وكان أول شيء توفق فيه أحمد لخدمة بلاده أنه لما رأى

الشعب المصري والشعوب العربية يعيشون وهم في حاجة شديدة ملحة إلى بعض السلع التي لا يستغني عنها فرد ، كغطاء الرأس الذي كان يُستورد من النمسا و (البطاطين) الأغطية الصوفية التي تستورد من الخارج ، فخطر بباله أن يوفر على أمته هذه الثروة المهدورة ما دام من الممكن صنع تلك الأشياء في مصر .

ولذلك أعلن مع بعض رفاقه في الجامعة عن الاكتتاب لانشاء « مصنع مشروع القرش» وموضوعه أن المتبرع يقدم لهذا المشروع قرشاً مصرياً واحداً ، وكان القرش في تلك الأيام يساوي جزءاً من العشرين من الدولار ، وقام بهذا المشروع مع إخوانه الطلبة فانضم اليه آلاف من أبناء القطر المصري . وبهذه الطريقة استطاع أحمد أن يهدي أمته معملاً لصنع الطرابيش والبطاطين الصوفية مما أسفر عنه هبوط أسعار هذه السلع ثم إلى انقطاع ورودها الى مصر تقريباً . وبذلك كسبت مصر وأهلها مكسبين ، أولهما إدخال صناعة جديدة الى مصر ، وثانيهما ترخيص أسعار هذه الحاجات الضرورية في غير مصر أيضاً من البلاد العربية التي كانت تعتمر الطربوش .

ولأحمد حسين جهاد آخر لم يكن الجيل الماضي يجرؤ عليه ، وهو محاربة الرذيلة في مواطنها ، بواسطة فرقة الكشافة التي انبثقت عن حزب (مصر الفتاة) الذي اشتهر بوطنيته وجرأته على الحكام الظالمين . فكانت شبان مصر الفتاة أصحاب القمصان الخضراء حرباً على أماكن الرزائل العلنية أولاً ، وذلك بمهاجمة

الخمارات وتحطيمها علناً في وضح النهار . وبواسطة هذه الحركة الجريئة استطاع أحمـد حسين واخوانه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن يلفتوا نظر الشعب الغافل عن مصالحه وعن أسباب حقيقة وجوده ، وينبهون الى أن بعض الحكام هم الذين يشجعون الرذيلة لمنافع لهم فيها ، بدليل أنها تفتح بموجب موافقة الحكومة المصرية وبترخيص قانوني منها . فتكاثر عدد أنصار أحمد حسين وأعوانه وتلاميذه . وكانت جريدة مصر الفتاة بعـد أن كانت تطبع ألف نسخة في الأسبوع ،أصبحت تطبع مائة ألف نسخة ، وكلما شدد الاستعمار البريطاني والحكم المصري المطلق الخناق على حزب أحمد حسين وجريدته ، كلما ازداد إقبال الناس عليهـا والالتفاف حول الاستاذ أحمد والثقة فيه .

لقد استطاع أحمد حسين بهذا الجهاد الجديد أن يصبح في مصر سيد جيله ، لما عرف عنه من شجاعة في الصراحة ،وعنف في خصومته للاستعمار والحكم الاستبدادي والصبر على المكاره . كما أنه كان من المحامين البارزين الذين تصغى إليهم المحاكم الكبرى الاصغاء الشديد .

ولا يفوتني أن أقول مع ذلك أن أحمد حسين بالرغم من شدة العنف الذي يعمد إليه وقد تقدم وصفه مـع حدة أساليبه مع الحكام والمستعمرين ، هو رجل لطيف مهذب ، ناعم الأسلوب ، رقيق الحاشية ، شديد الحياء والشهامة والمروءة ، لأنه دائماً في مقدمة الذين يسارعون الى اسعاف الناس في مصائبهم ،ومشاطرتهم

آلامهم ، ومشاركتهم في عذابهم .

فكم من قضية في المحاكم تتعلق بأناس فقراء قام بها بدون أجر ، وكان مع ذلك كله لا يبخل بجاهه على أحد ، ولذلك كان خصومه لا يسعهم برغم ضخامة مناصبهم وألقابهم ، ورياسة بعضهم للوزارات وكبرى المناصب الخطيرة إلا احترامه بالرغم من مخاصمته لهم وشدة هجومه عليهم ، فإنهم إذن يحترمونه ، ويصغون إليه ، ويعجبون بنزاهته ، ويحضرون الحفلات الخطابية في دار حزبه (مصر الفتاة) عندما يخطب في الجماهير ، ذلك لأنهم كانوا يحبونه لنزاهته ونظافة يده وعلو نفسه ، حتى بلغ من وثوقه بنفسه أن أحد الحمقى من وزراء مصر[1] وقف ذات مرة في البرلمان وشتم أحمد حسين خوفاً على الكرسي من هجماته ، فاتهمه بالعمالة لدولة أجنبية . فتقدم أحمد حسين الى النائب العام بعريضة منه يتهم ذلك الوزير نفسه وهو على كرسي الوزارة بخيانة مصر لحساب الأجانب التي وجهها اليه ليعرف الشعب أيهما أهدى سبيلاً وأصدق قيلاً . فاذا بذلك الوزير يلملم نفسه ثم يتهرب مما افترى به على هذا الزعيم الشاب المخلص .

هذا وقد بلغ من أمانة أحمد حسين في المحاماة التي أصبح علماً من أعلامها، وكان يعيش منها أنه عندما أصبح يترافع أمام

---

(١) هو محمود فهمي النقراشي باشا، وزير الداخلية المعروف بضيق الصدر وظلام الأفق . ولذلك جعلته العمالة للانكليز بعد ذلك رئيساً للوزراء ! غير أن الشعب المصري لم يصبر . فقد اغتاله أثناء صعوده الى مكتبه بالوزارة .

القضاء العالي وأمام محكمة التمييز ، كان لا يقبل قضية مؤكدة الخسارة ، حتى لا يأخذ أجراً من أصحاب القضية ويكبدهم المال فوق مصيبتهم ، برغم شدة حاجته للمال لتربية أطفاله .

هذا إجمال سريع مختصر للتعريف بأحمد حسين ، وأما الذين يريدون معرفة المزيد عن هذه الشخصية النادرة المثال ، فعليهم مطالعة مؤلفاته وكتاب « قضية إحراق مدينة القاهرة » سنة ١٩٥٢ التي اتهم بها والذي وضعته لجنة من المحامين المصريين عنها ، ليعرفوا الأسباب المباشرة لخلع الملك فاروق وإزالة عرشه .

الناشر

الفنّ والعِلم

الفن تعبير عن الجوهر الثابت
أما العلم فموضوعه العرض المتغير

قد يكون هذا الرأي بالنسبة للكثيرين لا جديد فيه ، وقد يعتبره أقوام آخرون تجديفاً وتهجماً على العلم ، أما بالنسبة لي فهو حقيقة اكتشفتها مؤخراً ، وأرى من الخير أن أسجل تجربتي في هذا الصدد .

كتاب الطاقة الانسانية

فعندما اعتزمت تأليف كتاب الطاقة الإنسانية ، الذي أردت فيه أن أخضع الطاقة الإنسانية للمعادلات الرياضية كبقية الطاقات المادية الأخرى قررت أن أنقطع لتأليفه وأن أتبتل في طلب العلم المادي بفروعه المختلفة من طبيعة وكيمياء وجيولوجيا ... الخ ، وفرضت على نفسي أن ألزم دار الكتب لا أبرحها حتى أفرغ من مطالعة مئات وألوف الكتب العلمية ،

مهما استغرق ذلك من وقت يتجاوز الشهور الى الأعوام ، وانكببت على مطالعة الفهارس لأعرف بأي الكتب أبدأ ، وأيها أختار وإذا بالأمر لا يحتاج إلى أكثر من بضع دقائق لأكتشف أن هذا البحر من الكتب المؤلف عن علم الطبيعة مثلاً ، تكفي بضع قطرات منه للاستغناء عنه ، شريطة أن تكون هذه القطرات هي آخر ما سكب في هذا البحر ، وأعني بها الكتب الحديثة المؤلفة في هذا الموضوع ، إذ أن كل ما ألف في الطبيعة على مر العصور قد أصبح اليوم غير ذي موضوع ، إلا لمن يريد أن يكتب عن تاريخ علم الطبيعة وتطوره ، أما بالنسبة لمن يريد ان يلم بالقوانين الطبيعية في مفهومها الأخير فإن آخر كتاب من تأليف اينشتين يغني عن كل ما سبق ، وليس يغني كل ما سبق عن كتاب اينشتين ، ذلك أن الاهتداء الى تركيب الذرة ، والتوصل الى شطر نواتها ، وتحويل المادة الى طاقة قد قلب علم الطبيعة والكيمياء معاً رأساً على عقب .

ووجدت الأمر يتضح لي بالنسبة لأي فرع من فروع العلم ، طباً كان او هندسة أو فلكاً ، أو حتى جغرافياً ، وإلا فكيف أعرف جغرافية العالم كما هي اليوم من أي كتاب كتب قبل اكتشاف الامريكتين ، أو حتى بعد اكتشافها وقبل مسحها ، وكذلك الشأن بالنسبة لاستراليا ... بل بالنسبة لافريقيا نفسها قبل ان توضع الخرائط لكل جزء من أجزائها ، وهو ما لم يتحقق إلا وقبيل أواخر القرن التاسع عشر .

وبماذا يفيد كتاب كيمائي يتحدث عن عناصر المادة بل

والطبيعة كلها انها تتألف من أربعة بسائط أولية هي الهواء والماء والتراب والنار ، بعد ان عرفنا ان هـــذه العناصر ليست في حقيقتها سوى مركبات من عناصر اكثر بساطة وهي الذرة التي قيل في وقت ما انها تختلف من عنصر الى عنصر ،واعتبر الكون منطوياً على مائة عنصر وثلاثـــة (حسب آخر احصائية عام ١٩٦٠) [1] وبعد ان كان يظن ان كل عنصر من هذه العناصر مستقل عن بقية عناصر المادة اكتشف ان طبيعة الذرات المؤلفة لهذه المواد واحـــدة ، فهي كلها تتألف من شحنات كهربية موجبة تطوف حولها شحنات سالبة وهو مايطلق عليه اسم الالكترونات والبروتونات .

وهكذا اتضح لي ان من يريد الإلمام بآخر معطيـات علم الطبيعة أو الكيمياء أو اي علم من العلوم ، فما عليه إلا انيطالع كتابين او ثلاثة ، او اكثر قليلاً ليتحقق له ما يريد . وعلى ذلك فقد وجدتني أختصر مدة إقامتي في دار الكتب مكتفياً ببضع عشرات من الكتب الحديثة في مختلف العلوم وهي ما أثبتها في فهرست المراجع في نهاية كل فصل من فصول الكتاب .

وليس الأمر كذلك في كتب الأدب

وفي الوقت الذي كنت أصل فيه الى هـــذا القرار بالنسبة للكتب العلمية المكدّسة في دار الكتب ، كانت الفكرة المضادة

(١) دائرة المعارف البريطانية .

بالنسبة للكتب الأدبية والفنية تفرض نفسها عليّ فرضاً. فلو أن انساناً أراد ان يرتوي من الأدب ، وأن يسعد بالشعر والقصص والحكايات والسير فلن يغنيه اي كتاب في دار الكتب عن أي كتاب آخر ، ولن يغنيه أدب عصر عن تذوق أدب عصر آخر، ولا شعر شاعر عن الاستمتاع بشعر شاعر آخر، بل ان مطالعته آلافاً من أبيات الشعر لأحد الشعراء لا تغني عن مطالعة قصيدة معينة كتبها هذا الشاعر في مناسبة من المناسبات ، وقد رأينا تجربة من ذلك النوع بعد وفاة شوقي أمير الشعراء ، فبالرغم من دواوين شوقي الضخمة المطبوعـــة والمنشورة ، وبالرغم من مسرحياته الشعرية التي لم يسبق اليها في الشعر العربي ، وبالرغم من أغانيه وأهازيجه ، فان ذلك لم يمنع استاذاً كبيراً كالاستاذ صبري السوربوني من أن يجمع أشعاراً مجهولة الصاحب وان ينسبها لشوقي بعد تحقيق علمي دقيق ، وان يصدرها في كتاب كان من أروج الكتب الأدبية .

وكذلك الشأن بالنسبة لمطالعة القصص ، فلو أن إنساناً طالع مئات القصص لكاتب من الكتاب ، فلن يغنيه ذلك عن مطالعة المزيد من قصصه ، وأياً ما يكون القدر الذي يطالعه الإنسان من القصص ، فان نهمه لهذا اللون من الفنون لا يمكن ان يشبع ، ذلك ان لكل قصة خيالها وطابعها وشخصيتهـــا المتميزة التي لا يمكن ان تنطبق على غيرها تمام الانطباق ، كما لا يمكن ان تنطبق بصمة إنسان على إنسان آخر .

خلود الشعر

ووجدتني أطيل التأمل في هذه الظاهرة الثانية ، وهي أننا نترنم بأبيات من الشعر قالها امرؤ القيس، أو بشّار بن برد ، أو عمر بن ابي ربيعة ، أو المتنبي أو أبو العلاء على الرغم من انقضاء القرون على وفاتهم ،وعلى إبداعهم هذا الشعر ،ولسنا نفعل ذلك بالنسبة لأي انسان عاش في هذه العصور أياً كان قدره ، وكان شأنه أو كان علمه. بل ان العامة عندنا تردد اسم أبا نواس بأكثر مما تردد اسم هارون الرشيد ، وهي إذ تردد اسم هذا الأخير فلأنه يؤلف طرفاً في نوادر (أبو نواس) ولأنه يقوم بدور رئيسي في قصص ألف ليلة وليلة .

ظاهرة انسانية عامة

وهذا الاحتفال بالشعر والشعراء ، ليس كما يظن البعض خطأ ظاهرة خاصة بالعرب ، بل هي ظاهرة انسانية عامة ، فلا نحسب ان أوربا تحفل بأثر أدبي احتفالها بالياذة هوميروس ، التي لم يقف تأثيرها عند حد ، فأصبحت مصدراً لمئات القصص والمسرحيات والقصائد التي تستلهم أساطيرها وخرافاتها ، حتى ان أسماء ابطالها كأخيل وهكتور وباريس وهيلانه واجاممنون، تتردد في أرجاء اوربا كما تتردد أسماء الأرض والسماء والأفلاك والشموس والنجوم .

وانجلترا تكاد تلخص عظمتها في انجابها لشاعرها شكسبير،

وإيطاليا لا تعتز بإنسان اعتزازها بدانتي شاعرها العظيم، والمانيا بجوته، وفرنسا براسين وكورني وموسيه وفيكتور هيجو . حتى الاتحاد السوفيتي بكل نظرياته المادية جعل من بوشكين شاعر روسيا القديم علماً من أكبر الأعلام التي تعاد طبع دواوينه وقصائده بالملايين ، وامتد حماس الاتحاد السوفييتي للشعر حتى شمل شاعر الانجليز نفسه شكسبير ، فأصبح الاتحاد السوفييتي من أكبر مناطق العالم طبعاً وتوزيعاً وتمثيلاً لروايات شكسبير ممثل الملكية والاقطاع .

الرسم والموسيقى والقصص

والحق ان الشعر إذا كان يستأثر بالنصيب الأوفر من الخلود ، فما ذلك إلا لسهولة حفظه وتناقله، وإلا فإن ظاهرة الخلود تلحق كل مظاهر الأبداع الفني من رسم وتصوير ونحت وموسيقى وقصص ، فالدنيا كلها تسعى وتحج لرؤية الآثار الفنية من أي نوع كان ، وتقف مشدوهة مذهولة أمام إبداع الفنان المصري القديم وهو يصوغ من حجر الجرانيت إنساناً يكاد ينبض بالحياة ، وهو يرفع أعمدة الكرنك شامخة رهيبة حتى تكاد تتحدى الفناء والزمن . وهو يحس هذا الإحساس أمام مبدعات الفنان الاغريقي ، وكل فنان من العصور القديمة ولست أحسب أن هناك اسماء تتردد في العالم المثقف تخفق القلوب رضاً لسماعها ، وتتلهف شوقاً الى رؤية أو سماع آثارها من أسماء : بتهوفن وموزار وفردي وشوبان وغيرهم من أعلام الموسيقى أو أسماء

دافنشي ورافائيل وميكل انجلو من أعلام النحت والرسم أو أسماء ديكنز وبلزاك ودستيوفسكي وتولستوي من أعــلام القصص ، وليست هــذه الأسماء التي سُقناها إلا على سبيل المثال .

واليوم في عالمنا المغرق في المادية والواقعية ،لا يزال الفنانون من مغنين وموسيقيين وممثلــين وقصاصين وشعراء ، هم الذين يستأثرون باهتمام الجماهير وحبهم ، ولا أحسب أنه يوجــد شاب في طول الدنيــا وعرضها لا يعلم أسماء نجوم هوليود بأكثر مما يعرف أسماء الأعلام والمفكرين في بلادهنفسها .

وما علينا إذا أردنا أن نتمثل هذه الظاهرة في أعلى صورها إلا أن نستحضر موجة الاهتمام والحفاوة والشوق الذي يستقبل به ملايين العرب حفلات أم كلثوم ، حيث يجلسون من الخليج الى المحيط ، بل إلى ما وراء ذلك وقبل ذلك .فالفن والاستمتاع بالفن لا يعرف حدوداً ولا قوميات، يجلسون جميعاً لا فرق بين مصري أو سوري أو تركي أو ايراني،لا فرق بين كبيروصغير، بين تابع ومتبوع ، بين غني وفقير ، فالفن قد سوّى بينهم ، ووحّد مشاعرهم، واستثار فيهم إنسانيتهم فراح الغناءيشجيهم، وينسيهم لبضع ساعات،الواقع بكل مشاكله ومتاعبهوأحزانه؛ ويحلق بهم في دنيا من الخيال والأمل والتفاؤل، دنيا لا تكدرها الأحزان أو النكبات .

ما هو التفسير والتعليل

والآن ما هو التفسير والتعليل لذلك ، اننا إزاء ظاهرتين في منتهى الوضوح والثبات والاطراد في القديم مثل ما في الحديث ، في الشرق مثل ما في الغرب ، وهو احتفال البشر بالفنانين في حياتهم ، واحتفالهم بآثارهم الباقية بعد وفاتهم ، في الوقت الذي يعيش فيه العلماء والمفكرون بعيداً عن الضجيج واحتفال الجماهير ، فإذا ماتوا لم يذكرهم أحد إلا في أوساط العلماء من أمثالهم .

موضوع الفن

ولم يكن الجواب على هذا التساؤل صعباً ولا هو بعيد عن متناول الادراك ، فالانسان ، كل انسان ينطوي على قوتين إحداهما قوة الغريزة والإلهام والوجدان ، وبهذا الطراز من القوة ولد الانسان ، وبها يحافظ على كيانه وإثبات ذاته وإبقاء نوعه ، وليست المشاعر والأحاسيس والعواطف إلا مظهر هذه القوة ، وعن طريق الأحاسيس والمشاعر والعواطف ، يدفع الانسان عن نفسه الأذى ، ويستجلب لها النفع ، عن طريق الأحاسيس والمشاعر والعواطف يحب ويتزوج وينسل ، مخلداً بذلك نفسه ونوعه ، وهذا القسم من قوى الانسان هو جوهر الحياة . ولذلك فهو ثابت لا يتغير على مر العصور والدهور ،وعلى

اختلاف البيئات وتبـــاعد الأمكنة ، والعواطف والمشاعر والأحاسيس وعلاقـــة الرجل بالمرأة هي موضوع الفن الأول والرئيسي ، ومن هنا فهي تتجاوب مع كل انسان في كل زمان ومكان ، إذ يرى نفسه فيهـــا قوة وضعفاً ، نقصاً وكمالاً ، قبضاً وبسطاً .

موضوع العلم

وإلى جوار هذه القوة الغريزية الفطرية الكامنة في كل انسان توجد قوة أخرى أكثر تركيباً وتعقيداً ، تنمو وتتطور وتتغير وتنقلب بحسب ظروف كل انسان وبلده ،هي قوة العقل والتفكير والتي زود بها الانسان لإشباع حاجاته ، وحل ما يعرض له من مشاكل متغيرة ومتطورة ، ولما كان لكل انسان مشاكله الخاصة به والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فقد اختلفت آثار الفكر والعقل ، فالانسان المشتغل بالصيد له مشاكله التي يبرع في حلها بما لا يقدر عليه الرجل المشتغل بالزراعة ، كما لا يقـدر رجل الصيد أن يحل مشاكل الزراعة ، وكما لا يقدر الرجلان على تفهم مشاكل رجل الصناعة الذي لا يعرف بدوره مشاكل الصيد أو الزراعة وهكذا . ومشاكل الرجل العائش عند خط الاستواء تختلف عن مشاكل الذي يعيش عند أحد القطبين ، والعائش على شط البحر ، غير العـائش في أحشاء الصحراء ، والعائش في السهل غير العائش فوق الهضاب وقمم الجبـــال ،

فلكل من هؤلاء مشاكله الخاصة وحاجاته المختلفة ، وإذ كانت مهمة العقل الانساني هي مواجهة هذه المشاكل المتغايرة والمتباينة عن طريق التجربة والخطأ والاستفادة بتجارب من سبق ، فقد بدأ الانتاج العقلي وآثاره تختلف باختلاف العصور والبيئات ، وحسبنا أن ندرس النظريات الفلسفية لكي نحكم بأن ليس هناك جامع بينها إلا عملية التفكير في حد ذاته ، فما من نظرية إلا وتعارض نظرية وتدحضها ، وما من قول إلا وعليه رد ينقضه ، وما من تصور عقلي إلا ويهدمه تصور آخر وهكذا ، وإذا كانت الفلسفة في نهاية الأمر تبدأ مباحثها من أساس متفق عليه يسمى بالبديهيات والمسلمات ، فهذه البديهيات والمسلمات ليست نتيجة العقل والتفكير . فالتفكير لا يستطيع أن يقيم عليها البرهان والدليل ، وإنما هي من معطيات الوجدان والفطرة التي فطر عليها كل إنسان أياً كان حظه من العقل والثقافة كأن يعرف أن الاثنين أكثر من واحد .

وليس العلم التجريبي نفسه بأوفر حظاً من الثبات من العلم النظري من حيث التبدل والتغير . يشهد بذلك علم الطب الذي وجد منذ أقدم العصور ، وقد اعتبر علم العلاج دائماً ثمرة التجربة ومع ذلك فإن أطباء اليوم يعتبرون علاج الأمس القريب ، خطأ ووهماً ، أما علاج الأمس البعيد فهو في نظرهم دجل وشعوذة .

ولا شك أن علاج اليوم بدوره سيبدو لأطباء المستقبل خرافات وأوهاما . والرأي منعقد اليوم على أنه بعد أن يخرج الانسان من سجن الجاذبية الأرضية ، وينطلق إلى الفضاء الكوني عبر الكواكب ، سوف يواجه ظروفا تخالف كل المخالفة ظروف الحياة على الأرض ، وسوف يكتشف نواميس جديدة وقوانين طبيعية جديدة ، وسوف يُخطىء نظريات نعتبرها اليوم عنوان الصحة ، وسوف يصوب نظريات نعتبرها اليوم علماً على الخطأ ، وسوف يضحك كلما تذكر سياراتنا التي افتخرنا يوماً بأنها تقطع مائة كيلومتر في الساعة ، أو بطائراتنا النفاثة التي تقطع ألف ميل في الساعة ، بل أن سرعة الصواريخ اليوم التي تبلغ عشرين ألف كيلو في الساعة ، سوف تعتبر كحمار الأمس بالنسبة لها ، عندما ينطلق الانسان في الفضاء بسرعة تقرب من سرعة الضوء .

ولكن هذا الانسان الصاعد إلى الكواكب ، سيظل كإنسان الغابة الأول ، يحب ويكره ويخاف ويؤمل ويتزوج وينجب الاطفال ، ومن هنا فسوف يقرأ أدبنا ، ويستمتع بفنوننا ، لأنه سيجد فيها مشاعراً كمشاعره وعواطفاً كعواطفه ، وسوف يرى فيها أحزانه ومسراته ، وشقاءه وسعادته ، سيرى نفسه لا يختلف عنا ، يولد كما ولدنا ويموت كما نموت ، ويبكي كما نبكي ويضحك كما نضحك .

الأديان والعقائد فن

ووجدتني وقد وصلت إلى هذا المدى من بحثي وملاحظتي ، أضع يدي على السر الذي تفوقت فيه الأديان والعقائد على العلوم والمعارف والفلسفة والمنطق ، ولماذا كان بوذا وعيسى وسيدنا محمد يؤلفون أعلى القمم الإنسانية ، ويعلون على الملوك والأباطرة والقياصرة والفلاسفة والحكماء من حيث سلطانهم على النفوس البشرية ، والذي يزداد على مر السنين أثراً في حياة بني الانسان . ذلك أن هذا النفر من قادة البشرية لم يجيئوا بنظريات علمية ، أو حقائق منطقية ، ولم يتحدثوا بلغة الأرقام والحساب ، وإنما خاطبوا الوجدان والضمير الانساني ، خاطبوا المشاعر والعواطف ، خاطبوا في الانسان ذلك السر الخفي الذي ينطوي عليه ، سر الوجود كله في كماله ، وجعلوا محور أحاديثهم الاخاء والحب والتسامي نحو المثل الأعلى والكمال ، حيث لا بغي ولا ظلم ، حيث لا عنف ولا عدوان ، حيث لا مرض ولا ضعف ، بل ولا موت ولا فناء ، وإنما بقاء وخلود وسلام ، وهو ما تهفو إليه الغرائز الانسانية وتتوق إليه .

ولذلك لم يكن عجباً أن كانت أحاديث الأنبياء والرسل حكايات وقصصاً ، وأحاديث عن الغيب والمجهول الذي يحس به الانسان بوجدانه دون أن يتوصل إليه بعقله ، ولم يكن عجباً كذلك ان استخدمت الأديان والفنون دائماً أبداً لتعميق مفاهيمها، وإرهاف الحس والمشاعر .

الخلود للفن

وهكذا انتهيت من تجربتي الخاصة إلى أن الخلود والبقـاء هو للآثار الفنية لا العلمية ، وأن القوى التي تحرك البشر ليست هي القوى النابعة من عقله وفكره ومنطقه، بل تلك التي تفيض من مشاعره ووجدانه وعواطفه .

وان البساطـــة لا التعقيد ، والتواضع لا التعـالي ، والخفي لا الظـــاهر هو الذي يؤثر في الكون ويسطر مصير الانسان .



الطفولة ذروة الكمال الإنساني

أتكون الطفولة ذروة الكمال الانساني
وكل ما تعمله البيئة هو أن تهبط بالطفل عن هذه الذروة ؟

كلما تأملت الطفولة وخصائصها ، تأكد لدي أن عظماء العالم وقادته في كل فرع من فروع الحياة ، هم الذين استطاعوا أن يحتفظوا في أنفسهم بجوهر الطفولة وأن يقاوموا أثر البيئة والتربية والتعليم في أنفسهم ، وبذلك فقط تهيأ لهم أن يصبحوا أبطالاً وفلاسفة وعلماء وفنانين أو أنبياء وقديسين .

انها لتكاد تكون قاعدة عامة انه لم ينتصر ولا ينتصر في معركة الحياة إلا الذين قادتهم أحلام الطفولة طوال حياتهم أما الذين انهزموا في معركة الحياة ، فأصبحوا نكرات وإمّعات فهم الذين ارتفعوا فوق أحلام طفولتهم ودخلوا الى دنيا الرجولة ، دنيا العقل والتفكير والاخلاد للواقع .

الطفل الشاعر والفنان :

إن الاجماع منعقد بين رجال التربية – وهي مسألة يستطيع كل انسان أن يتثبت منها بنفسه – أن قوة الخيال الإنساني تصل في ذروتها عند الطفـل ، ويتمثل ذلك اعظم ما يتمثل في اضفائه الحياة على كل ما يحيط بـــه ، فالطفلة عندما تلعب بدميتهـا لا تتصور إلا أنها تنبض بالحياة مثلها ، فهي تأكل وهي تلعب وهي تنام وهي تخطىء وتصيب .

والطفل عند ما يركب عصاه فهو لا يتصور إلا أنه يركب حصانه بالفعل أو سيارة أو طيارة ، حسب ما يحلو له ، وعندما يلوح بعصاه فوق رأسه فإنما هو السيف الذي يقطع بـه رقاب الأعداء من مردة وشياطين وغيلان .

وعند ما يسقط الطفل على الأرض ويروح يبكي من ألم السقوط فإن ضرب الأرض وزجرها ونعتها بأخسى الصفات كفيل بأن يذهب عنه الألم لأنها عوقبت ، فكل ما حول الطفل حي نابض بالحياة ، وقابل للاتصال به عن طريق الكـــلام فالحيوانات والحشرات والزهور والأشجار والقمر والشمس وكل ما في الكون من كائنات منظورة وغـير منظورة من جن وملائكة وسحرة وعفاريت ، حي كله متحدث كله . تلك هي دنيا الطفل وحياته ومهمة البيئة ابتداء من الأم والأب والأخوات ، حـتى المعلم في الكتاب والمدرس في المدرسة ، أن يبصّر الطفل بزيف تصوراته

وأنها أوهام وخيالات لا تتصل بالواقع ، الواقع الصلب الجامد ، الذي يجعل العصاة عصاً ولا يمكن أن تكون حصاناً ، والذي يفكر أن تتكلم الأوزة أو الدبة أو القطة وأن يكون لها عواطف كعواطفنا ، والتي تجعل الأرض والسماء والجبال جماداً أخرس لا يحس ولا يشعر ويستجيب الطفل لهذا التلقين ، ويدرك واقع الحياة ، بكل مرارته بكل درنه وكدره ، بكل آلامه وشروره ، فإذا وصل الى هذه الدرجة فقد خرج من دنيا الأطفال ، ودخل دنيا الكبار ، دنيا الفكر والمنطق والحساب والتجربة .

ويطلع علينا موكب الشعراء الخالدين في كل زمان ومكان ، فاذا هم لا يختلفون عن سائر البشر إلا بمقدار ما يتصرفون كما يتصرف الأطفال عندما يضفون الحياة على كل ما يحيط بهم ، فيخاطبون الريح والليل والنهار ، — والأنهار والأشجار والحمامة والكروان ، والقط والتمساح ، واذا — هم لا يعترفون بمنطق أو رياضيات وإنما هي سبحات في دنيا الخيال ، أو وكلما أوغلوا في دنيا الأطفال فحدثونا بدورهم عن الجن والعفاريت والملائكة والشياطين ، وعن حور البحر وبساط الريح ، كلما أسمعونا أناتهم وصراخهم وعويلهم على ما فات أو ضاع منهم ، كلما ازددنا إقبالاً على أشعارهم ، وازددنا حباً لهم ، ورفعناهم مكاناً علياً ، وكلما كان شعرهم متسماً بالكذب ، كلما زاد تعلقنا به ، حتى لقد أصبح من المبادىء المقرره أن أعذب الشعر أكذبه .

فاذا أردنا أن نتقصى الأسباب التي جعلت من الشاعر شاعراً

لم نجد أمامنا إلا سبباً واحداً وعلة واحدة ، وهي أنه تمرد على البيئة ، تمرد على ما كان أبواه ومدرسوه يعدونه له من أن يتلقى تعليماً يجعل منه معلماً أو مهندساً أو طبيباً أو تاجراً ناجحاً ، وأنه أبى إلا أن يواصل أحلام طفولته ، وأن يعيش مع الخيالات والأوهام ، وأن يطلق لعواطفه ومشاعره العنان ، فلا يضع عليها قيداً من قيود المجتمع ، ولا يحفل بالتقاليد أو العادات والآداب .

وكذلك الشأن بالنسبة لأي فنان رساماً كان أو موسيقاراً أو ممثلاً أو مغنياً ، فهو لا يصل الى الذروة من فنه إلا اذا كان كالشاعر في قوة الخيال ، وفي انطلاق العواطف والمشاعر في غير تحرز أو تأثم ، والعجب أن المجتمع يرضى من الفنانين والشعراء ما لا يرضاه من غيرهم ، ادراكاً منه أنه لا فن إلا حيث التحرر والانطلاق من كل قيد ، ومن كل فكر واستغراق في الخيال والأوهام والمشاعر المتدفقة وهي كلها سمات الطفولة وخصائصها .

الطفل المخترع :

وليس هناك ما يزعج كل أب من طفله أكثر من أن يراه يحطم اللعب الثمينة التي تقدم له ، وقد يهون الأمر بالنسبة للدمى واللعب ولكن الذي يملأ كل أم بالفزع أنها لو تركت طفلها وشأنه في البيت لعبث بكل شيء ودمر وضرب وأتلف وربما أساء نتيجة ذلك الى نفسه .

ويقول لنا علماء التربية إن الطفل اذ يحطم كل شيء ويفسد كل شيء، ليس ذلك إلا لاشباع نهمه في معرفة السر الكامن وراء الأشياء ماالذي يحرك اللعبة ويجعلها تفعل ما تفعل ، ما الذي يجعل الراديو يغني ويتكلم ، فلا بد إذن من البحث عن المتكلم داخل هـــذا الصندوق الخشبي بتكسيره وتفكيكه . ومهمة الأبوين أن يعملا بالتدريج على تعطيل هذه الملكة (المخربة) في نظرهما وأن يعوداه بالتدريج أن يقبل الأشياء على علاتها ، وأن يستمتع بآثارها دون أن يحـاول ادراك كنهها . وينتهي الطفل بالاذعان فلا يعود يبحث خلف الأشياء وكيف تعمل وما هو سر تركيبها ، وبذلك يصبح ولداً عاقلاً رشيداً واقعياً .

وكما طالعنا موكب الشعراء العظام والفنانين من قبل،يطالعنا موكب المخترعين العظام في كل زمان ومكان ، هؤلاء الذين صنعوا لنا كل ما نحيا فيه وبه من مهمات وآلات وأدوات ، ونحاول من جديد أن ندرك السر الذي جعل هذا النفر من البشر يشذون عن القاعدة ويخترعون لنا هذه الاختراعات المذهلة ، فنرى السر كامناً في احتفاظهم بهذه الخصيصة الأولى من خصائص الطفولة ، وهي عدم قبولهم أي شيء على علاته ومحاولتهم الدائمـة لمعرفة السر الكامن وراء الأشياء .. فالمخترعون هم هؤلاء الأطفال الذين رفضوا كل ما حاول الآباء والمدرسون والعلماء أن يفرضوه عليهم، وتمردوا على المسلمات العلمية والبديهيات والحقائـق الجاهزة بل رفضوا أن ينصاعوا لنتائج المنطق الصارم والرياضيات وسمحوا

لخيالهم أن يسبح بهم في دنيا من التحرر والانطلاق ، فاذا بهم يحققون للدنيا هذه السيارة وهذه الطيارة ، وهذا المصباح الكهربائي، وهذا القلم الذي اكتب به والورق الذي اكتب عليه، وهذه السينما التي يختلف الناس اليها، وسفن الفضاء التي تدور الآن حول الكرة الارضية ، ليخرج منها الانسان ويسير في الهواء وسط ذهول البشر . وليس ذلك كله إلا من نتاج هذه العقول التي احتفظت بأحلام الطفولة ، وتمردت على الواقع بقوانينه وحقائقه المزعومة .

الطفل الفيلسوف :

وما من أب وأم إلا وقد ضاقا ذرعاً بأسئلة طفلها التي تنهال عليها أول ما يتفتح ذهنه ويسعفه لسانه على النطق « لماذا وكيف » أو بلغة الطفل « ليه وإزاي » .

لماذا نأكل ؟ لماذا نشرب ؟ لماذا نبكي ؟ لماذا نموت ؟ لماذا نولد ؟ وكيف نولد ، وكيف نموت ، وكيف نبكي أو نضحك ؟ وقد يكون الأبوان طويلي البال واسعي الصدر فيحاولان الرد على أسئلة طفلها قدر الاستطاعة إلا أن يصدما ذات يوم بالطفل يتساءل من الذي خلق الناس والدنيا ، فيسرعان في الرد وعلى شفاهما ابتسامة الرضا ، انها سيلقنان ابنها أول درس في الدين فيقولون له « الله » ولكن الطفل العنيد يمضي في سؤاله « ومن

الذي خلق الله » وتختلف ردود الفعـــل عند الآباء أو المعلمين والمدرسين عندما يلقي الطفل عليهم هذا السؤال المحرج فيردون عليه أحياناً بالضرب ، وتارة بالزجر ، وفي أكـثر الأحيان بالابتسام والتهرب، أو برد لا يشفي غليل الطفل . فيظل السؤال حائراً بغير جواب .

ويجيء موكب الخالدين من الفلاسفة والمفكرين منذ أقـدم العصور ، فاذا هم لا يشغلون بشيء إلا بهذين السؤالين اللذين نتبرم بهما من أي طفل . وهو لماذا وكيف ، ويصعدون في سلم الأسئلة حيث صعد الطفل فيتساءلون عن كيفية خلق الكون — فيقول بعضهم الله ، ويقول بعض آخر انما هي الطبيعة أو المادة ، فيلح العقل بالسؤال ، ومن الذي خلق المادة أو الطبيعة ، ويقف أعتى الفلاسفة عاجزين عن أن يردوا على هــذا السؤال ، إلا بالتسليم والاستسلام وأن العقل البشري أعجز من أن يحل هذه القضية ، وهكذا ينتهي أعظم الفلاسفة ، بمـا انتهى اليه الطفل ، وهو مجرد السؤال الحائر الذي لا يجد له جواباً .

الطفل الانسان :

وينشأ الطفــل لا يعرف من أمر نفسه إلا أنه انسان كأي انسان آخر فأي طفل أهــل لصحبته واخوته ومحبته ، وليس هناك ما يحول دون أن يشاطر أي طفل آخر ما يملكه وأن يلعب معه ويأكل معه ، ولا يرى الطفل في سواد لون أي طفل

آخر أو صفرته أو حمرته ما يفرق بينهما ، بل لا يمكن أن يحس بأي فارق آخر من حيث الغنى أو الجاه أو الرفعة والانخفاض انه طفل وذاك طفل آخر كل منهما ابن الحياة وكل يحب اللعب والمرح والحياة مع الآخرين وتبدأ الأم ويبدأ الأب والمعلم والمدرس تلقين الطفل أي طفل ، الفوارق التي تفصل بينه وبين الآخرين ، فهذا زنجي وهذا هندي ، وهذا ابن الخادم وهذا ابن السيد ، وهذا ابن الغني وهـذا ابن الفقير ، وهؤلاء هم فقط من يصح أن يلعب معهم وأن يختلط بهم أما هؤلاء فلا يصح له ، ويجب عليه في كل الأحوال الا يعطي نقوده أو لعبه أو شيئاً من حوائجه للآخرين ، وان يتجنب هذا الطفل أو ذاك . لئلا يضربه أو يؤذيه أو يسرقه ...

ويتعلم الطفل وينمو ويكبر فيترفع عن الآخرين اذا كان من السادة، ويذل للآخرين اذا كان من الضعفاء، ويتعلم كيف يحرص على حوائجه وعلى نقوده ، وحلواه فيضن بها على الآخرين ، ويتعلم كيف يزاحم وكيف يضارب وكيف يحارب وكيف يحقد وينتقم ، وكيف يعتدي وكيف يقاتل .

ويبلغ الأطفال سن الرشد وعلامة رشدهم انهم اذا لعبوا قسموا أنفسهم الى حرامية وضباط ، والى أغنياء وفقراء ، والى سادة وعبيد، والى منتصرين ومنهزمين... ويطرب الآباء لادراك ابنائهم، وانهم خلفوا دنيا الطفولة بأوهامها وبدأوا يدركون الحياة بواقعها ، وبذلك دخلوا دنيا الكبار ... دنيا الرجال الراشدين

وتأتي قافلة الأنبياء والرسل والهـداة والمصلحين ، أولئك الذين كانوا على مر العصور نوراً لبني الانسان ، يدعون للاخوة البشرية والتراحم والتعاطف بين الانسان ، ويدعون للمحبة والسلام . وتنحني البشرية تمجيداً لهذا النفر من الأعلام ، باعتبارهم يؤلفون المثل الأعلى لبني الانسان ، وتسأل عن السر الذي وصل بهؤلاء الى هذا المكان الرفيع من تكريم البشرية ، فـلا ترى إلا أنهم دعوا الى هذه الفطرة الأولى ، فطرة الطفل البريء الذي يحب كل من حوله ، ولا يضمر لأحـد حقداً ولا يعرف الشر وينسى الإساءة ، ويسعده أن يكون مصدر اسعاد لكل الكائنات .

ارتداد الانسان بعد الشيخوخة الى الطفولة :

واذا كان العقل والمنطق والحكمة والفكر هي مفخرة الرجولة وما تزهو به على دنيا الطفولة ، فان الرجولة تمضي في كمالها ونموها حتى تصل الى الشيخوخة ، فاذا بالرجل يرتـد من جديد طفلاً واذا بدنيا العقل تتخلى من جديد عن مكانها الى دنيا الأحاسيس والمشاعر الساذجة والخيالات والأوهام ، واذا بالطفل يرى في الشيخ نداً له ، والشيخ يرى في الطفل صاحباً يرتاح الى صحبته ، وهكذا يعود الانسان الى حيث بدأ وعندما تمـتزج البداية بالنهاية فهذا هو الحق الذي لا حق غيره .

الكمال الانساني :

وهكذا كلما قلبنا الأمور ونظرنا اليهـا من أي زاوية

أردناها ، وجدنا الطفولة مستودع الكمالات الإنسانية في شتى مناشطها الروحية أو الفكرية أو المادية ، وان الطفل أي طفل يولد وهو مجهز بكل الكمالات الإنسانية. والبيئة وحدها هي التي تنحرف بهذه الكمالات وتحولها في الأغلب والأعم الى أحاسيس بالنقص والعجز والرضا بالواقع المر الأليم الذليل .

وان البشر اذا كانوا يجدون في كل زمان ومكان من يتولى هدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم من يصلح أحوالهم ويشبع نفوسهم ، ويزكي أرواحهم ، فقد حدث ذلك على أيدي هذا النفر الذي ظل طفلاً في رجولته ، بكل براءة الطفولة أو أحلام الطفولة وعواطفها ومشاعرها .

كل طفل يولد على الفطرة :

ولعل هذا الذي قدمناه يفسر لنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» والفطرة تعني في هذا الحديث الدين الاسلامي الحنيف أو الدين الكامل الذي ينطوي على جوهر الأديان كلها .

« فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .

كما يفسر لنا قولة السيد المسيح عليه السلام :

« لقد أخفيت يا رب حكمتك عن العقلاء و كشفتها للاطفال»

وقوله عندما سأله تلامذته : من الأعظم في ملكوت السموات

« الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السموات ، إن من يضع نفسه مثل هذا الصبي فذاك العظيم في ملكوت السموات ».

ويفسر لنا لماذا دأب الفنانون على تصور الملائكة أطفالاً أصحاب أجنحة، ولماذا يجري على ألسنة الناس في كل عصر وزمان ومكان أن الأطفال ملائكة .

الانسانية الأولى :

ولست أجد ما أختم به هذا البحث إلا أن أسجل ملاحظة ابن صديق لي عندما عرضت عليه فكرة هذا البحث ، اذ قال لي على الفور ، ولكن مؤدى هذا البحث ، أن الانسانية في أول مراحلها ، وهي ما اعتدنا أن نعتبرها طفولة الانسانية ، تكون أكمل من انسانية الوقت الحاضر التي تعتبر رشد الانسانية ورجولتها .. ووجدتني أقول له .. لقد جئتني بدليل جديد ، فأنا من القائلين بأن الانسان الأول قد ولد كاملاً من حيث قوة الجسد وقوة الذهن وقوة الروح ، ولقد أثبت هذا بالتفصيل في كتابي (الطاقة الانسانية) .

فاذا كانت الطفولة هي التي تقابل الانسان الأول ، فهي الدليل حقاً وصدقاً على أنها ذروة الكمال الانساني ، ذلك الذي كان عليه آدم أبو البشر ، عندما علمه الله الأسماء كلها ، ما كان

وما سوف يكون الى أبد الآبدين ، وعندما طلب من الملائكة أن تسجد له تعظيماً وتكريماً .

وبعد ، فأحسب أن من حقنا بعد هذا الاستعراض المسهب أن نتساءل في ختام بحثنا بما بدأنا به .

أتكون الطفولة حقـاً وصدقاً هي ذروة الكمال الإنساني ، وكل ما تفعله البيئة والتربية والتعليم هي أن تهبط بهذا الكمال الى حضيض ما نسميه فكراً ومنطقاً وعلماً وتجربة وواقعاً ؟



آخر قصيدة لشوقي

أوشك أن يطمسها التاريخ

في الجزء الرابع من الشوقيات والذي نشر وأعيد طبعه أكثر من مرة بعد وفاته ،إحدى قصائد شوقي التي قالها تحيّة « لمشروع القرش » والتي يقول في مطلعها :

لا يقيمن على الضيم الأسد ... نزع الشبل من الغاب الوتد

كبر الشبل وشبّت نابه ... وتغطى منكباه باللبد

اتركوه يمشي في آجامه ... ودعوه عن حمى الغاب يذد

واعرضوا الدنيا على أظفاره ... وابعثوه في صحاراها يصد

فتية الوادي عرفنا صوتكم ... مرحبا بالطائر الشادي الغرد

الى آخر القصيدة التي تقرب من خمسين بيتاً .

وقد قال جامع الديوان ، ولعله ابن شوقي : أن هذه القصيدة كانت آخر ما جادت به قريحته . وقد تليت يوم وفاته في وضع

الحجر الأساسي لمصنع « مشروع القرش » .

ولما كنت بحكم اشتغـالي في ذلك الوقت بمشروع القرش ، أعرف الظروف التي قيلت فيهـا هذه القصيدة المنشورة في الديوان ، وأنها غير القصيدة التي ألقيت بالفعل يوم مات شوقي ، فقد فكرت أن أبعث لجامع الديوان ، ليصحح هذه الواقعة ، وليضم الى الديوان القصيدة الأخرى التي كانت آخر ما نظم شوقي من الشعر في حياته .

ولكني تصورت أن الكثيرين من المختصين والدارسين المهتمين بتحقيق تراث شوقي سوف يتنبهون الى هـذا الخطأ ، خصوصاً وأن القصيدة المعنيـة منشورة في جريدة الأهرام يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٢ وهو اليوم الذي نشر فيه نعي شوقي بالذات.

وطنية شوقي :

وأتيح لي منـذ عام أن أطالع الكتاب القيّم الذي ألفه الدكتور أحمد محمد الحوفي عن وطنية شوقي ، والذي أنصف فيه شوقي باعتبـاره قطباً من أقطاب الوطنية ، فوجدته ينقل عن دواوين شوقي فيما نقل قصيدة « لا يقيمن على الضيم الأسد » ، ويصفها في صفحة ٢٩٥ بأنها آخر ما جادت به شاعرية شوقي . وله العذر في ذلك ، فقـد كان ذلك هو ما سجل بالفعل في ديوان شوقي .

ومرة أخرى هممت بأن أكتب مصححاً الواقعة التي كنت شاهداً عليها ، ومرة أخرى صرفني عن هذا الخاطر ، أن لا أبدو متطفلاً على موائد الأدب والشعر .

الاستاذ فتحي رضوان وشوقي :

ولكن الاستاذ فتحي رضوان وهو الأديب الكبير ، أصدر أخيراً كتاباً يسجل فيه ذكرياته عن الرجال الذين اتصل بهم في حياته ، وأفرد فصلاً عن أمير الشعراء شوقي وكيف اتصل به ليطلب منه قصيدة لمشروع القرش فلبى الطلب ، ثم عاود الاتصال به ليحصل على قصيدة أخرى تلقى بمناسبة وضع الحجر الأساسي لمصنع مشروع القرش :

« وكان خاتمة زياراتي لشوقي في أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، فقد أخذت منه آخر ما نظم من شعر ، قصيدته التي ألقيت في الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمصنع مشروع القرش في برج الظفر بالعباسية، والتي كان عنوانها« فتية الوادي عرفنا صوتكم» وقد جرت أبياتها الأولى .

« لا يقيمن على الضيم الأسد نزع الشبل من الغاب الوتد »

ونقل الاستاذ فتحي الخمسة أبيات السابقة الذكر ، ثم راح يتحدث عن القصيدة ، وكيف كانت مكتوبة على ورقة منزوعة من كراسة أو ما يشبه ذلك ، مطوية في أكثر من موضع وقد

عبثت بها يد الاهمال ... ثم مضى يقول :

ولم أكن أدري ساعة أخذتها منه أنني أتلقى الصفحة الأخيرة من كتاب ضخم من أضخم ما عرف الأدب العربي والشعر العربي ... الخ » .

خائنة الذاكرة :

ولقد عجبت وأنا أطالع هذا الذي كتبه أخي الاستاذ فتحي ، فعهدي به قوي الذاكرة بصورة كانت تدعونا أحياناً للعجب والدهشة ، بل انه ليقدم الدليل على قوة الذاكرة ، وهو يحدثنا عن شكل الورقة المكتوب عليها القصيدة ، وأنها كانت منزوعة من كراس ، ومع ذلك فهو ينسى محتويات هذه الورقة ، ويخلطها بقصيدة أخرى ، نشرت قبل ذلك ببضعة شهور ، وكانت موضع فخاره واعتزازه .

وهو لو فكر قليلاً لعلم أن هذه القصيدة التي يشير اليها طويلة ، قد تتجاوز أبياتها الخمسين ، ولا يمكن أن تتسع لها ورقة الكراس ، بل هي في حاجة الى كراس كامل . ومن هنا فقد أدركت أن واجبي أصبح يحتم عليّ من الناحية التاريخية البحتة أن أصحح هذه الواقعة ، التي أصبحت الشاهد الوحيد عليها ، ليس فقط من أجل مكانة شوقي من تاريخنا الوطني القومي والفني ، ووجوب الاحتفال بكل ما يتصل به ، وخاصة آخر

ما جادت به شاعريته وختم به حيـــاته ، ولكن من حيث كون هذه الحادثة تصلح لأن تكون نموذجاً ، لما يمكن أن يقع فيه حق التاريخ المعاصر الذي لا يزال شهود حوادثه أحيـاء من أخطاء . وكيف أن خطأ يقع في كتاب ، لا يلبث أن يصبح أصلا ينقل عنه باعتبـــاره مصدراً لا يرقى اليه الشك من حيث إثبات الحقيقة . بل ان الشخص الوحيد المتصل بالحادث والذي يعرف حقيقته ، قو تخونه الذاكرة ،فيتحذ المنشور خطأ باعتباره الحقيقة التي عاينها بنفسه .

ما هي آخر قصيدة لشوقي ؟ :

فما هي الحقيقة إذن ، وما هي القصيدة التي تليت يوم وفاة شوقي ؟ انها قصيدة لا تزيد عن ثلاثة عشر بيتاً ؛ أدع للشعراء ونقاد الشعر وزنها من الناحية الفنية وتقييسها، أما بالنسبة لي ، فإني أذكر أنه عندما قدمها لي الاستاذ فتحي منذ خمس وثلاثين سنة ، قال لي أن أمير الشعراء قد اعتذر عن ضآلة القصيدة ، وشكا له من أن الله لم يفتح عليه إلا بهذه الأبيات ، ولا يدري ماذا حلّ به .

ولقد فكرنا في أن لا نلقي القصيدة في الاحتفال ، لأنها على غير ما تعودنا من شوقي جزالة في اللفظ ، وتدفقـاً في المعاني ، وإشراقاً في الديباجة .

وإليك نص القصيدة التي يجب أن تأخذ مكانها في التاريخ الأدبي باعتبارها آخر ما نظم أمير الشعراء ، وليست القصيدة الأخرى :

الملك بالمــال والرجال   لم يبنَ ملك بغير مــال
والمال ركن الشعوب يؤدى   اليه في السلم والقتــال
يا عصبة القرش قد صنعتم   ما لم يقع قبلكم ببال
وقفتموا في سبيل مصر   ومجدها موقف السؤال
أخذتمو القرش من يمين   مدّت إليكم ومن شمال
هذا خطاكم في البر آسى،   مبارك طيب الخلال
كأن الفرقد بن سينا   في رفعة الذكر والخلال
واليوم تبنون ركن دار   كريمة الوضع والمثال
الحمد لله قام منــا   أواخر تموا الأوالي
ويسد جيل مكان جيل   لله من سابق وتال

وقد مات شوقي رحمه الله يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، ونشرت هذه القصيدة في جريدة الأهرام في اليوم التالي أي في ١٩٣٢/١٠/١٥ في ذات الوقت الذي نعت فيه شوقي الى الأمة العربية والإسلامية .

ومع ذلك فإن هـذا النشر في أوسع جريدة في مصر ، لم يحب كما ترى من طمس معالم هذه القصيدة واستبدالها بأخرى

قيلت قبل ذلك ونشرت في جريدة البلاغ قبل ستة أشهر. وأن يساهم في طمس هذه الحقيقة (من غير قصد بطبيعـــة الحال) الرجل الوحيد القادر على تصحيحها ، على الرغم من اشتهـــاره بقوة الذاكرة والدقة والألمعية .

فعسى أن يجعلنا ذلك أكثر تواضعاً ، ونحن نؤكد وقائع التاريخ التي حدثت منـــذ مئات وربمـا ألف من السنين ، وأن نخفف من تعصبنـــا ضد من قد يسوقون الوقائع على وجه آخر ، ومن أجل هـــذة الدعوة إلى التواضع والتسامح والتحفظ ونحن نؤكد حقائق التاريخ ، رأيت أن أسجـــل هذه الواقعة .



وليمة الدّم

قصّة

...وسرى في الباخرة التي كانت تقوم بجولة سياحية في البحر الأحمر ، نبأ قرب اصطياد سمكة ضخمة من أسماك القرش ، فكان للخبر في نفوس الجميع هزة فرح عنيفة ، ليس فقط لأن هذا الحادث يضع حداً لحياة الملل التي يحيونها منذ أمد بعيد ، ولكن لأنهم سيواجهون في نهاية الامر بعد طول انتظار هذه التجربة المثيرة ، تجربة اصطياد القرش ورؤية هذه السمكة المتوحشة ، ما أكثر ما سمعوا القصص والروايات عن أسماك القرش، وكيف أنها قضمت ساق انسان ، وقطعت يد انسان آخر ، حتى لقد أصبحت أجسادهم ترتجف كلما ترددت هذه الكلمة على أسماعهم .

واحتشد ركاب السفينة في المؤخرة ، حيث كان الربان مع بعض معاونيه من البحارة يستعدون لإصطياد القرش . ويسأل طفل صغير أمه التي كانت تجره جراً ليشهد معها هذا الحدث المثير :

– وما القرش يا ماما ؟

– القرش يا حبيبي نوع من السمك المتوحش المفترس .

– وما معنى مفترس يا ماما ؟

وقد فوجئت الأم بهذا السؤال ، فترددت بعض الشيء في الاجابة ثم لم تلبث أن قالت في تثاقل .

– مفترس ... مفترس انه يأكل الأسماك و ...

وقطع الطفل حديث أمه ...

– ونحن يا ماما ألسنا نأكل السمك ؟

وارتج على الأم من جديد ، ولكنها لم تلبث أن انفجرت في عاصفة من الضحك ثم قالت لابنها :

– لا .. هـذا شيء آخر . . القرش يأكل الانسان نفسه أحيانا .

ولمعت عينا الطفل وقد أثارته هـذه الفكرة ، وأسرع يسائل أمه :

– وهل أكل هذا القرش أحد الأطفال يا ماما ؟

وضاقت الأم بهذه الأسئلة وبهـذه الفكرة القاتمة ، فكرة أكل القرش لأحد الأطفال وشدت في حركة تلقائية على ساعد ابنها وقالت له :

– معاذ الله أن يكون قد أكل أحداً ، اننا في هذه السفينة لا خوف علينا من القرش .

– وهل رأيته أنت يا ماما وهو يأكل طفلاً ؟

– أنا لم أره ، ولكن الناس تقول ذلك .. انه متوحش .. انه فظيع .

وقطع هذا الحديث ، أصوات حشود الركاب المتكأكئين ، ذكوراً واناثاً ، وقد ارتفعت في زئير وصخب بعد أن وقعت عيونهم لأول مرة على سمكة القرش ، وقد ظهر رأسها فوق الماء ، وراحت تشق الماء محومة حول الباخرة .

وكان الربان قد استجلب أنظار القرش وخياشيمه بما قذف به على سطح الماء من دم وأغشية من الدهن الابيض ، في الوقت الذي كان فيه بعض البحارة يلوحون له بصفيحة بيضاء .

وامتلأت خياشيم القرش برائحة الدم المسفوك ، وجذب بصره هذه الصفيحة البيضاء المتحركة فوق سطح الماء ، فاندفع في اتجاه الطعم ، نحو الدم والدهن وقطعة اللحم التي تخفي بين طياتها الخطاف ذا البراثن الحديدية ، ولكن صياح الركاب أفزعه ، فأسرع يعدو مبتعداً عن الباخرة في فزع . وغضب الربان وطلب من الركاب ان يخلدوا للسكينة إذا رغبوا في أن يسمح لهم بالبقاء لرؤية اصطياد القرش ، ثم أضاف قائلاً :

– ان القرش يفزع من الصوت ، فلا يكاد يسمع صوتاً حتى يعدو هارباً ، وما على الانسان إذا قابل قرشاً ، إلا أن يصفق بيديه ، أو يحدث صوتاً من أي نوع كان لكي يفر القرش في فزع .

وسكت الركاب الذين كانوا جد حريصين على رؤية المشهد المثير ، فلم يعد يسمع سوى أنفاسهم الحارة أو تحرك صدورهم المرتفعة الهابطة وخاصة صدور السيدات والعذارى منهن .

وأعادالبحار المختص تلويحه بالوعاء الابيض الذي كان يحركه ، بينما أعاد الربان إدلاء الحبـــل الذي يمسك في نهايته بالسنارة المغلفـــة باللحم ، وطلب من الجميع الصمت وعدم الحركة ولم يلبث القرش أن عاود الاقتراب ، وراح يطوف ويحوم حول الدماء واللحوم والدهون المتناثرة ولكن عينيه كانتا ترنوان باهتمام لهذه القطعة الكبيرة من اللحم ، وهتفت به غريزته أن ينأى بنفسه عن هـــذا الجسم الغريب الناتىء من البحر كأنه جبل ، ولكن غباوته ، أو شهوته أو قدره ، كانت تدفعـــه للاقتراب من الطعم ، فراح يسبح في دوائر تضيق وتضيق ، وحبس الركاب أنفاسهم وازداد التوتر ، وارتفعت درجة الحرارة في أجساد الذكور والاناث من بني الانسان ، ولكن القرش فاجأهم مفاجأة قاسية ، ذلك أنه أدار ظهره واندفع بعيداً عن الطعم والدم والسفينة كلها ، وغاص في أعماق الماء فاختفى عن الأنظار ، وانفجر الركاب في عاصفة من التأوهات والصيحات التي تنم عن خيبة الأمـــل ، ومن جديد ارتفع صوت الربان مزمجراً في شراسة يطلب من الركاب الاخـلاد إلى السكينة ، وساد الصمت من جديـــد ، وأمسك البعض بأذرع البعض ، وتشابكت أصابع أيدي الجنسين ، وتلاحمت الاكتاف والاجساد ،

وقد عراها من جديد التوتر ، وسرى تيار كهربائي بين المحتشدين والمحتشدات دغدع الاجساد . فقـد ظهرت سمكة القرش على سطح الماء من جديد ، أو بالاحرى ظهرت زعنفتها وكأنهـا سكين مشرعة تشق أديم الماء شقاً ، حتى إذا اقتربت من الطعم أبرزت رأسها من الماء وراحت ترنو ، ولم تلبث أن دارت حول نفسها دورة ، وغطست في الماء ثم ظهرت .. وسكنت عن كل حركة ، وفجأة اندفعت صوب قطعة اللحم المعلقة في نهـاية الحبل ، والتي تخفي بين طياتها الموت الزؤام فالتقمتها في لحـة بصر ، وضج الركاب بالصياح والتصفيق والتهليل فقـد وقع الوحش نهائياً ، وفزعت السمكة من هذه الاصوات ، فحاولت أن تجري مبتعدة ، ولكن شيئاً ما عاقها ، شيئاً ما المحشر في حلقها ، شيئاً صلباً لا تقوى أسنانهـا على قضمه ، وضربت السمكة الماء بذنبها في عنف ، وحاولت أن تنتزع نفسهـا ولكن ذلك لم يزد هذا الجسم الغريب إلا تشبثاً في حلقها ورأسها، واهتزت من قسوة الالم ، وتوقفت عن كل حركة لتخفف عن نفسها الألم ، ولتدرك هذا العدو الغريب الذي لا عهد لها به من قبل ، ولكن البحارة لم يتركوا لهـا فرصة للتفكير والتدبر ، فقد كانوا أسرع منها حركة فراحوا يجذبون الحبـل في قوة وسرعة ، جاذبين السمكة ومخرجينهـا من الماء ، وما هي إلا لحظات حتى كانت معلقة في الهواء لا تقوى على الحركة ، فكل حركة كانت تزيد الكلاليب تشبثاً في جوفها وتقطيعاً له ،وألقى البحارة على السمكة المعلقة أنشوطة أخرى من الحبال ، حتى

إذا استقرت في وسطها ضيّقوا خناقها فأمسكت بها من وسطها، وكانت زعانف السمكة تحول دون انزلاقها، وهكذا أحكم وثاق السمكة، وبدأ البحارة في العملية التالية، عملية جذبها إلى سطح الباخرة، وكان الدم قد بدأ يتدفق بغزارة من حلقها وخياشيمها ويسيل على جسدها الذي كان يلمع تحت وهج الشمس وبريق الماء فزاده الدم وهجاً وبريقاً، وصفق الركاب فرحاً وطرباً لرؤية الدم فقد دل ذلك على أن الوحش الذبيح في الطريق إلى نهايته؛ ولأمر ما انقطع الحبل الذي كان يحمل الطعم أو بالأحرى الذي يحمل الخطاف ذا الكلاليب، ودب الهلع إلى النفوس واصفرت الوجوه، من أن يأخذ القرش طريقه من جديد نحو البحر هرباً، ولكن الانشوطة الاحتياطية أظهرت فاعليتها فحالت دون فرار السمكة وصرخ الربان الذي كان قد بلغ ذروة التوتر والغضب، في الركاب طالباً منهم اخلاء المكان نجاةً بأنفسهم من الوحش الذي حانت ساعة طرحه على سطح الباخرة، وجرى الركاب في ذعر، وخلت مؤخرة الباخرة إلا من الربان ورجاله، وبعض أفراد من الركاب الجسورين.

وطرحت السمكة على ظهر السفينة، فلم يكد جلدها يمس الأرض الخشبية، حتى هاجت في عاصفة عنيفة، وراحت تثب وتضرب وتلطم وتتخبط، فأسرع واحد من البحارة كان متهيئاً لهذه الحالة وصب عليها دلواً من الماء العذب، فإذا بالسمكة تهدأ وتسكن كما لو كان الماء العذب مخدراً أصابها بالدوار، حتى إذا بدأت آثار الماء العذب تخف عادت السمكة إلى هياجها

ولكن بدرجة أخف وأضعف بينما راحت دلاء الماء تنهال عليها فتخمد فيها كل حركة وتقرب نهايتها .

حتى إذا خارت قوى السمكة نهائيـــاً ، وأوشكت على لفظ أنفاسها ، أقبل نوتي يحمل سكيناً ضخماً مشحوذاً فطعنها به في بطنها في قوة وعنف ، فغـــاص السكين حتى قبضته ، واختلجت أطراف السمكـة في ضعف بينما أسرع النوتي يجر السكين جراً بطول بطن السمكـة ، فتدفقت الدماء الغزيرة الحمراء القانية ، وتحول سطح السفينة حيث ترقـد السمكة إلى بركة من الدم ، وهلل الركاب لمرأى الدم فقد كان ذلك إيذاناً بانتصارهم على الوحش ، وكانوا قـــد عادوا للاحتشاد حول الذبيحة بعد أن أصبحت لا تشكل لهم أي خطر ، وتلاحقت يد النوتي تنتزع من بطن القرش كتلاً دامية من اللحم لم تكن إلا قلبه ومعدته وامعاءه وكبده وطحاله وتقذف بها إلى البحر، والنشوة تملأ المشاهدين مع كل قطعة تنتزع من جسد الوحش ومزق صوت الطفل حبل الصمت الذي كان قد ران على الجماعة كرد فعل لما عانوا من توتر :

– ولكن أين الطفل الذي أكلته السمكة ، انه لا يوجد في بطنها .

وانفجر الجميع ضحكاً من هذه الملاحظة البلهاء بينما جذبت الأم طفلها وقالت له في صوت زاجر :

– ولكنني قلت لك انه لم يأكل أحداً !

فانفتحت عينا الطفل في دهشة وقال :

– إذن لماذا قتلناه ... والنبي حرام يا ماما .

وعلت ضحكة الحاضرين من جديد على هذا الطفل الغرير الساذج .. وراحوا يتفرقون بعد أن انتهى المشهد ، و كل يعلق على الحادث .

– أهذا إذن هو القرش ؟

– ما أغباه !

– لقد وقع في الفخ بسهولة عجيبة .

– على كل حال فقد ضمنا عشوة سمك .

– أما أنا فلن آ كل بعد أن رأيت ما رأيت .

– لا تكن أبله ... ان لحمها لذيذ وسوف ترى .

وكان لا يزال في جسد السمكة بعد كل الذي حل بها بقية من اختلاجات واضطرابات عصبية ، فراحت تتشحط في دمائها ، وتضطرب زعانفها ، بينما وقف النوتي الذي مزق جسدها مزهواً بنفسه مزهواً بيديه الغارقتين في الدم ، وراح يمسح السكين المخضب بالدم في إحدى الخرق ، بينما أحاط به وبربان الباخرة البطل سرب من الأوانس والعذارى والغانيات يهنئنهما على ما أحرزا من فوز وانتصار ، وغض الربان بصره في خجل ، بينما كانت بعض العيون تتوهج برغبات خفية ، وهي تقع على السكين المخضب بالدم ، والأيدي الملطخة بالدماء ..

عزيز المصري

الرجل الأسطوري كما عرفته

(١)

كيف سمعت عن الرجل لاول مرة :

ما زلت أذكر هـذا اليوم الذي قرع فيه إسم عزيز المصري سمعي لأول مرة ، ما زلت احس بالرعشة الـتي سرت في بدني يومئذ والموسيقى والأبواق العسكرية تعزف مارش اوبرا عايده، والخيول الصافنات تتهادى حامـلة فوق ظهورها فرساناً من الفراعنة يحملون الأسلحة الفرعونية .

وكان ذلك في شتاء عام ١٩٣١ ، وكنا وقوفاً في الفترة ما بين محاضرتين حول استاذنا الدكتور عبد المنعم رياض الذي كان يشرح لنا بعض ما استغلق علينا فهمه في القانون الدولي الخاص ، استرعى انتباهنا منظر فريد مفاجيء في ساحة الجامعة الخارجية، وكان المنظر يتألف من كوكبة من الفرسان الذين يرتدون الملابس

الفرعونية ، راحوا ينسابون في حرم الجامعة ثم يتحلقون في حلقة كبيرة وســـط ذهول الطلاب الجامعيين ، ثم ارتفعت النداءات من قادة هذه الكوكبة ، فانطلقت الموسيقى تعزف... تعزف نشيد « فردي » الخالد ، نشيد النصر في اوبرا عايده ، واهتزت أرواحنا ، وأحسسنا بنفوسنا تحلق في السماء دون أن نعرف حقيقة هذا الذي نرى ،أهو حلم وخيال أم واقع نتصوره ، وكان استاذنا العظيم الراحل عبد المنعم رياض هو أول من فسر لنا حقيقة ما نرى عندما صاح فجأة :

– هذا عزيز المصري وهذه مدرسة البوليس ، لا يمكن أن يكون هذا الذي نراه إلا من عمل عزيز المصري ، إنني أعرفه ، فليس في مصر كلها من يقدر على صنع هذا الجمال إلا المجنون عزيز المصري .

العبقرية والجنون :

والعجيب أن هذه الكلمة كلمة الجنون التي وصف بها عزيز المصري في معرض الاشادة بعظمته ، ظلت الصفة التي تسم الرجل حتى مات ، ولقد كان أصدقاؤه وأحباؤه يكررونها كما يكررها أعداؤه وخصومه ، ولم يكن هو نفسه يرى حرجاً في تكرارها في اعتزاز ، ولعلها من آخر الكلمات التي سمعتها منه في وصف نفسه قبل أن يموت بأيام ، ذلك أن عزيز المصري باجماع الآراء كان عبقرياً فذاً والفارق بين الجنون والعبقرية يكاد يدق على الافهام

أحياناً فالشذوذ هو الطابع المميز لكليهما .

ونرجع الى قصة هـذه المظاهرة التي وصفتها لك فسوف تكشف عن حقيقة هذا الذي نقول .

لقد كان عزيز المصري قد ولي إدارة مدرسة البوليس منذ عام ١٩٢٨ فلم يلبث أن أحدث فيها انقلاباً اسطورياً في ذلك الوقت، ففي الوكر الذي كان يعده الاحتلال والاستعمار لاخراج الرجال القادرين على خنق كل حرية في مصر بدأت تنطلق أعظم صيحات للحرية في ذلك الوقت ، لقد تحولت المدرسة التي قامت على أساس النظام العسكري الصارم لاخراج رجال أشبه بالآلات، الى جامعة تتمتع بأكثر النظم إمعاناً في حرية الفكر والتصرف وتربية الخلق ، ولن يصدق قارىء هذه السطور الآن أن عزيز المصري في عام ١٩٣٠ قد أمر أن لا يوضع قفل على دواليب الطلاب ، لأنه لا يتصور أن يوجد بين طلبة البوليس الذين سيكونون حفظة الأمن في المستقبل من يسرق زميلاً له ، ونزعت الأقفال عن الدواليب ... ولم يقع حادث سرقة واحد .

ولن يصدق قارىء هـذه السطور الآن أن عزيز المصري قد جرب أن لا يكون هناك في الامتحانات رقباء على الطلبة ، فضباط البوليس الذين هم عنوان الامانة لا يمكن أن يغشوا في الامتحانات ... وأجرى عزيز المصري فعلاً امتحانات بغير رقباء .

ولن يصدق قارىء هذه السطور الآن أن عزيز المصري منذ ثمان وثلاثين سنة ، كان يجمع طلاب مدرسة البوليس مرة كل اسبوع ليحاضرهم ، لا في العسكرية التي كان أحد أئمتها ، ولا في العلوم ، أو في الاخلاق ... وإنما في الوطنية في اعداد الشعب للكفاح الطويل ضد الاستعمار .

كل ذلك حدثنا به عبد المنعم رياض في هذه اللحظات التي كنا مأخوذين فيها بالمنظر المثير الذي لا يزال منقوشاً على صفحات روحي قبل ذاكرتي طوال هذه السنين، والذي كان ينطق بنفسه بأكثر مما حدثنا به عبد المنعم رياض .

وعندما صاح فرسان الفراعنة من طلاب البوليس :

– مدرسة البوليس تحيي الجامعة .

دوى هتاف ألوف الطلاب من أبناء الجيل الجديد :

– والجامعة تحيي مدرسة البوليس .

وخفق قلب مصر ، وخفق التاريخ بهذا النبض الجديد في الحياة المصرية .

وقابلته لأول مرة

ومضى عامان على هذه المظاهرة ، تخرجت فيها من كلية الحقوق وانخرطت كما انخرط غيري في سلك المكافحين من أجل

حرية مصر، وكان أن زج بي الى السجن أكثر من مرة،وأصبحت أمثل في نظر رجـال الأمن والبوليس من الانجليز ، نوعاً خطراً من المجرمين السياسيين الذين يجب أن يحاصروا ثم يبادوا .

وفوجئت ذات يوم عقب فراغي من المرافعـة في احدى القضايا ، بقاضي المحكمة يطلب مني أن أقابـله عقب الجلسة في حجرة المداولة ، ولم يكن هـذا القاضي سوى الأستاذ شافعي اللبان الذي قال لي عندما قابلته إن رجلاً عظيماً يرغـب في التعرف اليك وذلـك الرجل هو عزيز بك علي المصري مدير مدرسة البوليس .

وعندمـا اتصلت تلفونياً بعزيز المصري لأسأله أين ومتى أستطيع التشرف بمقابلته ، اذا به يفاجئني بقوله :

– تعال الآن .

– أين ؟؟

– هنا في مدرسة البوليس ، ألا تعرفها ؟

وكدت أصعق من هول المفاجأة ، بهذه البساطة يستقبلني الرجل في مدرسة البوليس ... أنا الشريد الطريـد من رجال البوليس .

ومع ذلك فقد كان ذلك هو الواقع وما هي إلا سـاعة من زمان حتى كان بعض الجنود يقودونني الى حجرة مدير المدرسة،

وكان قلبي يخفق من التوتر والخوف والإعجاب بالاروقة القائمة التي كنت أسير فيها وهي تشع بالنظافة والبأس والنظام .

ووقع بصري لأول مرة على عزيز المصري ، فـاذا هو شيء نسيج وحده ، طراز فذ بين جميـع الرجـال الذين عرفتهم حتى ذلك الوقت ، بل وحتى هذه اللحظة ، رأس كبير يتوجه شعر أبيض ووجه مشرق يـــكاد يشع ضوءاً وقامة قد جعلها القصر أكثر ما تكون قوة وحيوية .

ولم أكد أصافحه ويشرع في محادثتي ، حتى كان يروعني بأسلوب حديثه وموضوعه الذي يجعل كلمـة الجنون تتردد في الذهن أو العبقرية إذا شئت لأن هذا الذي تسمعه لا يمكن أن يصدر عن إنسان عادي من أي نوع كان .

لقد راح الرجل يحدثني أنه سمع عني ما سره ، وأنني أشارك مع الشباب الآخرين في كفاح الاستعمار ، وأننا نستطيـع أن نجعل منه أباً لنا ومستشاراً ، وأن نزوره في أي وقت نشاء ليلاً أو نهاراً ، دون أن نخشى تدخل أحد ، فهو لم يقبل منصب مدير مدرسة البوليس إلا على هذا الشرط ، ووزير الداخلية نفسه لا يمكن أن يتدخل في مدرسة البوليس .

وتلقيت من عزيز المصري لأول مرة دستوره الذي ظللـت أسمعه منه بعد ذلك خمساً وثلاثين سنة ، والذي كان يتلقاه عنه ويسمعه منه كل من اقترب منه من الشباب والذي يتلخص في ثلاث نقاط :

– الايمان العميق بالله روح الكون .

– تغذية العقل وتقوية الروح بالمطالعة الدائمة والثقافة الواسعة .

– التدريب على اطلاق النار ، تمهيداً لتخليص البلاد من الخونة وأعداء الشعب .

لمحة من تاريخ عزيز المصري:

وكان طبيعياً أن أدرس تاريخ هذا الرجل الذي أذهلني ... والذي يشذ عن كل من عرفت وظللت أعرف من السياسيين وغير السياسيين .

وسرعان ما عرفت أنه قبل أن نولد بثلاثين أو أربعين سنة، ولد هو في مصر من أسرة شركسية الأصل ، وكان من أوائل من تخرجوا من المدرسة التوفيقية الثانوية، ثم سافر إلى تركيا والتحق بالمدرسة الحربية بها ، وكان أوائل المتخرجين فيها يلحقون بكلية أركان الحرب ، فكان أن دخل كلية أركان الحرب في استنبول وكان يشرف عليها كبار العسكريين الألمان . وكان من زملائه أنور وطلعت كوكبا جمعية الاتحاد والترقي وعصمت اينونو (رئيس الجمهورية التركية بعدذلك)ولكن عزيز المصري كان هو الأنبه والأكثر جسارة ، والأوسع ثقافة والأكبر أحلاماً ، فقد كان يراوده منذ صباه المبكر أن يبتعث مجد الإسلام من خلال

اعادة تجميع العرب . ولكن جنسيته المصرية التي لصقت بإسمه جعلته موضع الحسد والغيرة من إخوانه الأتراك ، بحيث عاش في سلسلة من الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك له على الدوام .

ولكنه استطاع دائماً أن يكون المبرز ، وأن يكون النجم الساطع في كل عمل يندبه له قادة الجيش العثماني ، فلما ادلهمت ثورة البلغار ضد الدولة العلية ، ارسل عزيز المصري فيمن ارسل لاخماد هذه الثورة بالحديد والنار . ولكن عزيز المصري الجسور المقدام ، سرعان ما فتن بجسارة البلغار وشجاعتهم ، وسرعان ما توطدت بينه وبين زعمائهم وقادتهم أواصر المحبـة والاحترام ، ولقد ذهب عزيز المصري عن الدنيا ، وآخر أحاديثه كانت عن البلغار ، وكيف أنها في الأصل (الفولجار) نسبة إلى نهر الفولجـا فهم فرع من الروس .

وإذا كانت الشؤون قد أنسته ذكرى المعارك الرهيبة التي خاضها فان صورة (مترو) الفتاة البلغارية الـــتي أحبته والتي قتلها مواطنوها لاخلاصها له ، ظلت حية في نفسه حتى آخر لحظة ، حتى لقد قرأنا الفاتحة سوياً على روحها .

وانتقل من البلغار الى اليونان ليشترك في معاركها ، ثم عاد إلى استنبول ليشترك في الانقلابات الـتي فرضت على السلطان عبد الحميد إعلان الدستور أولاً ، ثم عزله ثانياً . واشترك في تأسيس رئاسة جمعيات كانت تعتبر جديدة في دنيا ذلك الزمان ، وهي الجمعية القحطانية ، ثم جمعية العهد ، والعربية الفتاة ... وفي كل هــذه

الجمعيات والحركات ... كان يدعو عزيز المصري إلى توحيد البلاد العربية تمهيداً لبعث الإسلام . وتحل الجمعيات ، ويطارد عزيز المصري ، ولكن الجيش في حاجة إليه دائماً ، إذ يجب أن يذهب إلى اليمن .. ويذهب عزيز المصري إلى اليمن، ويقوم بدور تسجله له كتب التاريخ ، وكان من آخر ما حدثني عنه ، إنه انتقل من اليمن إلى طرابلس الغرب سنة ١٩١١، ليساهم مع المجاهدين في حرب الطليان، ويبزغ نجمه من جديد، ويشتد خطره فتحوطه الدسائس وتدبر له المؤامرات ويحاكم بتهمة الخيانة ، ويصدر عليه حكم الاعدام ، ولكن الرأي العام العربي والإسلامي يثور على هذا الحكم ويرى سلطان تركيا أن من الأحكم والأصوب أن يبدل الحكم إلى الأشغال الشاقة ثم يطلق بعد ذلك سراحه ، وهكذا ينجو الرجل بأعجوبة أو بمعجزة ، وسيظل ذلك طابع الرجل طول حياته بعد ذلك ، حيث تدبر له المحاكمات وتصدر عليه الأحكام ، ثم لا تلبث أن تتلاشى كأن لم يكن شيئاً ، وهو ما أضفى على الرجل طابع الاسطورة . وليس ذلك الذي سردته عليك إلا لمحات من سيرة الرجل التي سمعنا أكثرها من الناس ، وتلقيناها عنه بالتفصيل على مر الأيام ، فلم يكن هناك ما يحرك نفسه حتى لحظاته الأخيرة في الحياة سوى هذه الذكريات العاطرة ذكرى أيام الشباب ، وكان الرجل في زياراتي الأولى له والتي كانت تتم مرة كل اسبوع أو كل اسبوعين على الأكثر ... لا يفتأ يستطرد من كل حديث يجذبني إياه عن دستوره الثلاثي :

– الإيمان بالله .

– مداومة الاطلاع .

– التدريب على ضرب النار لقتل الخونة وأعداء الشعب .

وكان هذا القسم الاخير من تعاليمه هو الذي يؤرقني دائماً ، وينشىء ما يشبه السد بيني وبينه، فأنا بطبيعتي أكره العنف... وكان من الممكن أن يكون إلحاح الرجل على هذه النقطة ، سبباً للتفريق بيني وبينه ، ولكن العجيب أن الرباط كان يزداد توثقاً على مر الايام ... ذلك أنني كنت أرى خلف هذه الصرامة قلباً وديعاً رحيماً حتى لتدمع عيناه من فرط الانفعال والتأثر لمجرد أن يرى طفلاً يتألم .

تعيينه رائداً لولي العهد

وقد فوجئنا ذات يوم والحديث يدور عن سفر فاروق ولي العهد إلى انجلترا لكي يتعلم ، بعزيز علي المصري يختار ليكون رائداً ومشرفاً على بعثة تعليم ولي العهد في انجلترا ، ثم لم يلبث هذا اللقب لقب الرائد أن انتقل عنه إلى أحمد حسنين باشا ، وأعلن أن منصب عزيز علي المصري ، هو كبير المعلمين ، وأن الملك فؤاد قد أنعم عليه بهذه المناسبة برتبة الباشا ، فأصبح عزيز باشا المصري .

وذهبنا والفرح يملأ قلوبنا لنهنىء الرجل ، بالمنصب الجديد

والرتبة ، فكل تقدم للأبطال والاحرار لا يمكن إلا أن يعود بالخير على كافة الاحرار ، وكان ظننا والرجل قد أصبح محل تقدير الملك ، وأكثر إلتصاقاً بولي العهد الذي سيكون ملكاً في القريب ، أن يكون عزيز باشا المصري أشد تفاؤلاً بالمستقبل ، وأقل مرارة ، وتحريضاً ضد رجال العهد ، وانه على كل حال سيكون أكثر حذراً واحتياطاً ، فلا يروح يحرك أصبعه هذه الحركة التي كادت تصبح شعاراً عليه ، والتي يمثل بها حركة اطلاق الرصاص بتحريك زناد المسدس ، فما راعنا إلا أن نجد عزيز باشا المصري أشد ثورة وتمرداً على الاحوال الجارية من عزيز بك المصري ، ونراه يسخر من رتبة الباشا ولا يرى فيها أي ميزة إلا أنها ستكبده بعض المصروفات ، ويهاجم الملك الذي استبدل به في آخر لحظة أحمد حسنين على رأس البعثة ، ولا يرى في ذلك إلا نذير شر .

ويعود الرجل إلى التبشير بدستوره الجديد .



ووجدتني من جديد أسائل نفسي وأنا أخرج من مقابلة عزيز باشا المصري كبير معلمي ولي العهد ، أيكون الرجل بالفعل مجنوناً ؟ هوذا إنسان يحصل على أعلى الرتب، ويحل من ثقة الملك إلى المكان الأرفع ، فيعهد إليه بالاشراف الفعلي على تعليم إبنه في انجلترا ، ومع ذلك فهو لا يفتأ يكرر هذا الحديث المخيف ...

حديث قتل الخونة وأعداء الشعب ... لقد كان ذلك شيئاً يفوق الشجاعة ... يفوق الجسارة ... يفوق التطرف ... إنه جنون ... أو عبقرية ... ولكن لماذا لا يكون جنوناً .

اصطدام بين عزيز المصري وولي العهد

وفي لندن يحاول عزيز المصري أن يجعل من فاروق رجلاً ، في الوقت الذي تعمل فيه بقية الحاشية على أن تخلق منه « رباً » فعزيز المصري يخرج بفاروق إلى الخلاء في ملابس رياضية ممتطين صهوات الخيل ، فإذا ببقية الحاشية وعلى رأسهم حسنين يعدون وراءهم بالسيارات وهم يحملون المعاطف الثقيلة والكوفيات ، ويدثرون بها فاروق خوفاً عليه من البرد والهواء .

وبينما يخاطبه عزيز المصري باسمه مجرداً ، ويلقي عليه الدروس والنصائح يأبى الآخرون إلا أن ينادوه بأكبر ألقاب التعظيم وأن ينحنوا له ويقبلوا يده .

وكان طبيعياً أن يحدث الاصطدام بين هذين التيارين وأن يكون فاروق والحاشية في جانب ، وعزيز المصري بمفرده في الجانب الآخر ، وقبل عزيز المصري التحدي ، ووقف موقفاً يضم إلى عشرات مواقفه الاسطورية ولكنه في نظري يمثل أعلى هذه المواقف طراً .

وتبدأ القصة في أن أم فاروق الملكة السابقة نازلي ، كانت

ترسل له خطابات تفيض بعبارات الأنين والحزن على فراقه ، وأنه لا يرقأ لها دمع ولا يغمض لها جفن إلى أن يعود ، وكانت أخواته الأميرات يرسلن له مثل هذه الخطابات الباكية ، وكان فاروق يضطرب ويحزن بدوره ويقلق ولا يعود يعي دروسه ، فكان أن كتب عزيز المصري في تقريره الشهري للملك فؤاد واصفاً هذه الحالة،واقترح أن تعدل الملكة نازلي وبقية الأميرات عن هذا الاسلوب ، وان يستعضن عنه بأسلوب يشع بالتفاؤل وتشجيعه على المضي في الدرس والتحصيل .

واستدعى الملك فؤاد زوجته وانتهرها وزجرها وندد بها وبتصرفاتها التي ستتلف ابنها، ولم يقف عند حد توصيتها بتعديل اسلوب الكتابة ، بل حظر عليها أن تكتب لفاروق .

ولم يعد فاروق يتلقى رسائل من أمه أو اخوته ، ولما سأل رائده أحمد حسنين عن السبب ، عزاه إلى عزيز المصري،وأطلعه على التقرير الذي بعث به إلى أبيه .

وغضب فاروق على عزيز المصري ، ولكنه لجبنه وخوفه منه لم يصارحه بشيء واكتفى بأن لا يتحدث معه أو يسلم عليه، فاذا حدث أن وجه عزيز المصري إليه كلاماً لم يرد عليه .

وكان طبيعياً أن يضيق عزيز المصري بذلك . فاستوقف فاروق ذات صباح في عنف ووجه إليه القول التالي :

— إسمع:أنت ستكون في يوم من الأيام ملكاً، وأول مظاهر

الملك أن يكون شجاعاً ، فكيف ترضى لنفسك أن تكون بهذا الجبن. إنك تقاطعني منذ بضعة أيام. وهذا عمل الأطفال والصبيان، لا تصرف الملوك وأولياء العهد ... فهيا كن شجاعاً وأجبني... لماذا تفعل ذلك .

وقال له فاروق – بعد تردد وتلعثم – انه كان السبب في أن حال بين « ماما » وبين أن تكتب له .

وسأله عزيز المصري في شدة :

– من الذي قال لك ؟

– عرفت .

– كيف ؟.

وصمت فاروق ولم يجب .

ودعا عزيز المصري أعضاء البعثة للاجتماع ، وعلى رأسهم أحمد حسنين في قاعة الاجتماعات .

ثم وجه الحديث إلى فاروق :

– إن الذي أطلعك على التقارير ، قد خالف الأمانة التي عهد إليه بها . فإن المادة ... من التعليمات تنص على أن التقارير التي تكتب عن شئون ولي العهد يجب أن تكون سرية ولا يطلع عليها بأي حال من الأحوال . ومعنى ذلك ان من أطلعك عليها خائن ، وقد خالف القانون الذي هو من عمل الملك ، ولذلك فمن

أول صفات الملك هو احترام القانون ، واحتقار كل من يخالفه ، ثم أضاف عزيز المصري وهو ينظر شذراً إلى أحمد حسنين .. على أن هذا الذي خان الأمانه فأفشى السرية، لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى ما هو اسوأ وهو الدس والوقيعة .

وطلب عزيز المصري من فاروق أن يتلو ما جاء في التقرير خاصاً بموضوع الخطابات ، ولما حاول أن يتردد ، انتهره فانصاع لأمره ، وبعد أن فرغ من تلاوة الفقرة سأله عزيز المصري ... أفي هذا الذي قرأ معنى طلب الكـف عن الكتابة .. وأطرق فاروق ولم يحر جواباً .. بينامضى عزيز المصري يقول « إذا كان هذا هو سبيلك إلى المستقبل ، فما اخوفني على مستقبلك » .

ولم يستطع حسنين أو أحد من أفراد البعثة أو فاروق نفسه أن ينبس ببنت شفة ، فقد كانوا يعلمون أن الملك فؤاد لو دري بما حدث فسوف يكون عقابهم شديداً .

وكف عزيز المصري منذ هذه اللحظة عن مخاطبة فاروق إلا أن يعتذر له ويحس بالندم ، وهو ما فعله فاروق بالفعل . فما كان من عزيز المصري إلا أن عاودتـــه طيبته فربت على ظهر فاروق وقال له إنني أعتبرك مثل ابني وقد سامحتك .

فاروق ملكاً

وما هي إلا بضع أسابيع بعد هذا الحادث حـــتى أصبح فاروق ملكاً وعاد من انجلترا ليتبوأ عرش مصر ، عاد وعـاد معه أحب رجل إلى نفسه وهو أحمد حسنين رائده ، وأبغض

إنسان إلى قلبه وهو عزيز المصري معلمه ، وكان الملك يقرر بذلك مصيره من حيث لا يدري .

وكنت من الذين ذهبوا إلى عزيز المصري لتهنئته بسلامة العودة ، وبتولية فاروق الملك ، مما يجعلنا نؤمل في دور كبير يلعبه عزيز المصري في حياة الشعب المصري لتحقيق أحلامنا ، فإذا به يفاجئنا كالعادة بما يطفىء نار الحماسة في قلوبنا، وإذا به يحدثنا هذا الحديث السابق الذي رويته لك ويمضي في حديثه لأول مرة كاشفاً عما يجري من فساد في القصور ، وعن الملكة نازلي وعن سيرتها غير الكريمة ،وعن حسنين ومحاولاته المستمرة لافساد الملك الشاب ، ويروح يشرح لنا سيراً من جنون فاروق، وكيف وجد معه في مرة من المرات علبة صغيرة بها حبوب من السم، وانه قتل بها يوماً إحدى الخادمات على سبيل التجربة... ولقد رويت عن فاروق فيما بعد حوادث أشنع من ذلك بكثير وجاء الوقت الذي كان فيه فاروق ينعت بأخس الصفات..ولكن عزيز المصري عندما كان يحدثنا ذلك الحديث في عام ١٩٣٦ حيث كانت مصر تعقد على فاروق أكبر الآمال ، كان يصيبنا بأكبر صدمة ، ولا يلبث أن يستطرد إلى موضوعه الأثير ألا وهو حضنا على :

– الإيمان بالله وحده .

– والادمان على المطالعة والتثقف .

– والتدريب على اطلاق النار لتخليص البلاد من الخونة وأعداء الشعب .

وأخرج ويخرج غيري من لدن عزيز المصري يتنازعنا دائماً ، هذان العاملان المتجاوران المتلازمان ، الإعجاب الذي يصل إلى حد الذهول بهذا الرجل الاسطوري الذي لا تغيره المناصب أو الرتب أو الجاه ولا يزيده تقريب سلطان له ، إلا إصراراً على ثورته على الأوضاع الفاسدة وتمرده .

وعامل آخر هو ... الانكار لهـــذا التهور الذي يبديه في أحاديثه وعدم الأخذ بأي سببمن أسباب الحذر أو الاحتياط.

مفتش في الجيش

ودارت الأيام دورتها وجاء محمد باشا محمود إلى الحكم عقب إقالة وزارة الرئيس السابق مصطفى النحاس في مطلـــع عام ١٩٣٨ ، وافرج عني من السجن الذي كنت فيه حيث كنت احاكم في قضية وصفت في ذلك الوقت بأنهـا شروع في مقتل رئيس الوزراء،وكان محمد باشامحمود هو صاحب الفضل فيالافراج عني ، فلما ذهبت إليه شاكراً ، سألني فيمن سأل عما تتوق إليه الأمة والشعب من آمال ولما كانت نذر الحرب العالمية الثانية قد باتت على الأبواب ... وأصبح إيمان الشعب يتلخص في أنه لن يكون ثمة سبيل لتحرير مصر إلا من خلال الجيش ، فلم أتردد ساعتئذ في أن أقول له ان أعظم ما يمكن أن يحققه لبلاده هو أن يضع عزيز باشا المصري على رأس الجيش .

وقد كان فرح الأمـــة عظيماً ، عندما فوجئوا ذات صباح

بتعيين عزيز باشا المصري مفتشاً للجيش المصري بالفعل . ولكن الانجليز الذين كانوا أصحاب الكلمة في الجيش حينذاك تمكنوا بعد قليل أن يجمدوا نشاط عزيز باشا ، وان يعزلوه تماماً ولكن الضباط الشبان ، بدأوا يتصلون به وراح ينفخ فيهم من روحه المتمردة الوثابة ويلقنهم دستوره الثلاثي المعروف ...

وقبيل اندلاع نيران الحرب جاءت وزارة علي ماهر وكان وزير دفاعها صالح حرب فجعلت من عزيز المصري رئيساً لاركان حرب الجيش ومنحته رتبة الفريق وأطلقت يده في اصلاح الجيش .

وهكذا وصل عزيز المصري أخيراً إلى أرفع الرتب العسكرية ، وكان مجرد التلفظ باسمه كافياً لاشاعة روح الحماس وسط الجنود قبل الضباط حتى ولو لم يعرفوا شيئاً من تاريخه .

في مكتب رئيس اركان الحرب

ودخلت لأول مرة في تاريخ حياتي إلى مكتب رئيس أركان حرب الجيش المصري في وزارة الدفاع ، لأقابل عزيز باشا المصري ، كما دخلت لأول مرة في حياتي إلى مدرسة البوليس لأقابل عزيز المصري ، وفوجئت بنفس الظاهرة التي تميز هذا الرجل من دون العالمين ، وهو أن المناصب مهما كانت خطورتها ، أو علو مكانتها لا تستطيع أن تغير في اسلوب الرجل ، أو

حديثه أو طريقة تصرفه، لقد راح يحدثني وكانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت بالفعل ، كيف ان هذه الحرب ستشهد نهاية الامبراطورية الانجليزية والفرنسية ، وكيف ان طلاب الكلية الحربية وبعض ضباط الوحدات قد طلبوا منه أن يشرح لهم المعارك الدائرة في اوربا فراح يشرحها بما يظهر عجز الانجليز وفشلهم وقرب اندحارهم .

وأنظر للرجل رغم صحبتي الطويلة له في ذهول أكثر من أي وقت مضى،أنظر إليه وهوفي بزته العسكرية وشارات رتبه تزحم كتفيه ، وهو جالس خلف مكتب ضخم مزدحم بالتليفونات والأجهزة ، التي قد يكون في أي منها ما يسجل كل كلمة تخرج من فمه ، وأهتف بالرجل في شيء من الحدة ونفاذ الصبر :

— ما هذا يا باشا ... أتتصور أن باستطاعتك أن تستمر في هذا المنصب وأنت تتحدث عن الانجليز بهذه اللهجة وهم في حالة حرب ، ألا ترى أنه من الخير أن تصطنع شيئاً من الكياسة والمداورة والمصانعة ، حتى تتمكن، وحتى تجمع الجيش حولك، فينظر إلي في ابتسامته الوديعة الرقيقة المليئة بعطف الأب وحنوه على إبن صغير مدلل ويقول في سخرية :

— إن الانجليز يعرفون من هو عزيز المصري ، ولو قلت غير ذلك لما صدقوني ولظنوني أتآمر عليهم ، ولذلك فلا يمكن إلا أن أكون كما أنا ... إن نهاية الانجليز قد قربت ، وعليك أن تقول للشباب أن يستعدوا وأن يجمعوا السلاح ويتدربوا على ضرب

النار ... إن الساعة آتية لا ريب فيها .

وكان من المحقق أن يصح ما توقعت ... فبعد أسابيع كان الانجليز يثيرون أول أزمة مع وزارة علي ماهر حول شخص عزيز المصري وضرورة استبعاده ، ويركن عزيز المصري مؤقتاً ولكنه ينتهز هذه الفرصة ليزيد من اتصالاته بالعناصر الشابة في الجيش والتي سيكون مقدراً لها بعد حين أن تحقق حلم حياته .

اعتقال عزيز المصري بسببي

وأبت الأقدار إلا أن تربط بيني وبين الرجل في مناسبة مؤسفة ، فقد كان الانجليز قد أصدروا أمراً بمجرد نشوب ثورة العراق واشتراك أخي الشهيد مصطفى الوكيل فيها ، يقضي باعتقالي أنا وجميع إخواني ، ولأول مرة في حياتي قررت أن أهرب من وجه الاعتقال الذي لم أكن أعرف مداه وكان يتم لحساب الانجليز ، فانطلقت قوى الأمن في أنحاء البلاد تبحث عني بضعة شهور دون أن توفق في القبض علي ، وفي هذه الأثناء كان عزيز المصري قد استقل طائرة حربية بمساعدة اثنين من الطيارين المصريين ليلحق بالألمان في ليبيا ليشترك في محاربة الانجليز ، فسقطت الطائرة عند مدينة قليوب وتحطمت،ولكن عزيز المصري ومعه زميلاه نزلوا إلى الارض سالمين وبهدوء أعصاب وبرود لا يقوى عليه سوى أبطال الاساطير ، اتصل عزيز المصري برجال البوليس في المنطقة وطلب منهم سيارة

لتنقله وصاحبيه إلى القاهرة ، ولم يتصور البوليس أنـه يساعد عزيز المصري وصاحبيه على ارتكاب جريمة الهرب بعد فشل أخطر مؤامرة . فقدم له العون اللازم لنقلهم إلى القاهرة ...

وفي القاهرة اختفوا عن أعين البوليس والسلطات في منزل أحد أصحابنا في الدقي .

وعندما اكتشف ما حـــدث في الصباح ، قامت الدنيا ولم تقعد ، وهاج الانجليز وماجوا ، وكان في الحكم رئيس حكومة جديد هو حسين سري الذي هدد بوليس مصر السياسي بالحل والإلغاء إذا لم يتمكن من القبض على عزيز المصري ... ولكن جميع الجهود ذهبت سدى .

وحدث أن كان الضابط المكلف بالقبض علي لا يني عن البحث عن خيط يوصله إلي فوجـد واحداً من إخواني يشتري طعاماً من جروبي فقرر أن يتبعه فأوصله التتبع إلى حيث يقيم عزيز المصري دون أن يتصور الضابط إلا أنه يقتفي أثر أحمد حسين ، وجمع قواته وحاصر البيت ثم هجم عليه شاهراً سلاحه ولكنه بدلاً من أن يجد أحمد حسين أمامه وجد عزيز المصري باشا رئيس أركان حرب الجيش المصري السابق وعدو الانجليز رقم (١) .

محاكمة ثم حفظ

وتقرر السلطات أن تحـاكم عزيز المصري ، وان تضع نهاية

لاسطورته وتزيح من الوجود عدو الانجليز الأكـــبر ، ولكن المحاكمة لا تـكاد تبدأ حتى تتحول إلى مهرجان وطني لعزيز المصري الذي وقف موقفاً رائعاً هز النفوس ، فعندما اعترض المحامون على تشكيل المحكمة العسكرية لأنهـا مؤلفة من ضباط يصغرون عزيز المصري في الرتبة أعلن عزيز المصري أنــه مع احترامه لدفاع المحامين فإنه قابل للمحاكمة أمام أي محكمة حتى لو كانت مشكلة من صغار الضباط والجنود وكل الذي يشترطه أن يكونون من الوطنيين الشرفاء ، وعندما وجد القاعة فارغة من الجمهور ، قال لرئيس المحكمة ليس يهمني ما تنتهي إليه هــذه المحاكمة مت أو عشت ، ولكن الذي يعنيني في الدرجة الأولى ، هو أن تفتحوا الأبواب للشعب لكي يأتي إلى هنا ويسمع ويتعلم استدعوا طلاب الحقوق والكلية الحربية والبوليس... ليحضروا هذه المحاكمة ويتعلموا .

ولو أن المحاكمة استمرت واستجيب لطلبات عزيز المصري لسجل التاريخ أروع ما يقوله إنسان في مثل هذا الموقف... ولكن الانجليز والحكومة المصرية رأيا من حسن السياسة أن يغلقوا هذا الباب وأن يسدلوا الستار على المحاكمة ... فأوقفوها وحفظوا الإتهام، وأفرجوا عن عزيز المصري ليعود إلى الحرية من جديد..

وعاد عزيز باشا يندد بالملك والطبقة الحاكمة والفساد ... ويدعوا الشباب أي شباب يقترب منه :

ـ أن يؤمن بالله .

- أن يداوم على الاطلاع والقراءة .

- أن يتدرب على ضرب النار لقتل الخونة وأعداء الشعب .



عزيز المصري مصدر عزاء لكل المجاهدين :

وجاءت أوقات وظروف ، جعلت الدنيا تظـــلم في وجوه الأحرار والمجاهدين ، أو بدأت السلطات تطاردهم ، وتلاحقهم بالسجون والاعتقالات والمحاكمات . وكنت من بين الذين اشتغلوا بالحركة الوطنية في ذلك الوقت ، فقد أوشك اليأس أن يدب إلى قلبي ويغشى الظلام حياتي ... فقد أصبحت في فترة من حياتي رهين السجن ، فلا تكاد أبوابه تفتح لي لاغادره ، حتى يفتح من جديد ليستقبلني.. لا يــكاد يقع في البلد حادث كبر أو صغر إلا ويجمعنا البوليس من بيوتنا ويلقي بنا في سجن ... فإذا اغتيل أحمد ماهر ، فيجب أن أكون أول من يحبس. وعندما يغتال النقراشي فيجب أن أكون أول من يحبس ، وهكــذا ... ولم يكن هذا شأني وحدي ... بل كان شأن العشرات من المشتغلين بالحركة الوطنية. وأعترف أن الضعف والوهن كانا يتسربان دائماً إلى نفسي ، ما جدوى هذه الحياة المتكررة المملة حياة السجون والمحاكمات ... ويتسرب الشك إلى إيماني .

ولكني كنت أراه دائمــاً هناك ... قبلنا جميعاً ، وكان هو

كما كان دائماً ... عزيز علي المصري ، صاحب الوجـــه المشرق والقلب الكبير ... صاحب الروح الوثابة المتأججة .. والنفس المشتعلة التي لا تهدأ ... ويقابلنا في السجن كما كان يقابلنا في كل مكان زرناه فيه ، نفس النصائح ، نفس التوجيهات ... نفس الحب والحنان ، وكان أكثر ما يروقنا منه ، هو هـــذا الجلال والمهابة التي تحف به والتي تجعله وهو في سجن مصر وكأنه في مكتبه بأركان الحرب.. فنرى مدير السجن يرتجف في حضرته، والكل يتسابق لخدمته ... وعندما تصور أحد الضباط الشبان مرة أن باستطاعته أن يسيء الأدب في حضرته ويستهين به، إذا بعزيز المصري ، يضرب الضابط وظل يضربه حتى كاد يحطمه لولا أن أنقذوه منه وراحوا يعتذرون له ويهدئون من غضبه... وجاءوا له بضباط من تلامذته السابقين، ليكونوا في خدمته... وأشهد لقد رأيناهم يحفون بـــه وهم على استعداد أن يفدوه بأرواحهم .

وكنت أحس بالخجل من نفسي والاحتقار لمـا ينتابني من ضعف ... فإذا كان هذا الرجل الذي نيف على السبعين، والذي كان أول من دعا إلى الوحدة العربية والبعث العربي، والذي ارتجت الدنيا ببطولاته ومواقفه العجيبة..هذا الرجل الذي كان استاذاً لكل رجال البوليس في مصر والذي كان معلمـاً للملك، والذي وصل إلى أرقى مناصب الجيش والذي يحمل رتبة الفريق، يقابل السجن بكل هذا الرضا والصبر .. أفيحق لي أنا الصغير أن

أشكو أو أتململ ...

وهكذا مضت بنا الأيام والرجل نبراس لنا ورائد ومنار ، والحوادث تجمعنا وتربط مصائرنا إلى أن جاء اليوم الموعود ، يوم أن كانت ثورة الجيش لتحرير مصر من كل الذي كانت ترسف فيه .

وهكذا أصبحت نظرية عزيز المصري ودعوته التي لم يفتأ يرددها ويكررها وكأنه كان يعلم ظاهر الغيب ، وانه لم يكن أمل في اصلاح الأحوال في مصر إلا من خلال القوة ، ولا قوة في مصر إلا في الجيش وبين أيدي ضباط الجيش .

وأدع للتاريخ ما قيل عن ابوة عزيز المصري الروحية لثورة الجيش ، واسرع إلى خاتمة المطاف ونهاية الاسطورة ، عندما اتيح لي بفضل من الله ونعمه ، أن اعاود الاتصال بالرجل في الأسابيع الأخيرة من حياته ، وأسمع منه تعاليمه الأخيرة بعد أن تلخصت في مبدأ واحد ، وخلت من كل حديث عن العنف أو القتل ، أو الاطلاع والثقافة ، واقتصرت على الدعوة إلى الإيمان ، الإيمان العميق الصادق .

— بالله .

— وبمحمد رسولاً .

— والإسلام ديناً .

عزيز المصري في أيامه الأخيرة

٢

يترنم بمعلقة امرىء القيس – ويتحدث عن كمال سيدنا محمد وبهائه ويترحم على أول من خفق قلبه بحبها – ذكريات متناثرة من صباه وشبابه – آخر وصية له الحب والتعاون في ظل الايمان بالله

البقاء لله

كنت أتهيأ للعودة إلى بيتي الذى كنت متغيباً عنه بعد ظهر الثلاثاء ١٥ يونيه سنة ١٩٦٥ وذلك استعـداداً للقيام بالواجب الاسبوعي الذي فرضته على نفسي آنــذاك وهو أن أزور عزيز المصري كل اربعـــاء . وفجأة دق جرس التليفون وأبلغني أخي المقدم عبدالله صادق وقد أخذ منه التأثر كل مبلغ، نبأ وفاة عزيز المصري ، وكان ذلك بعد الساعة الرابعـة مساء

بقليل . ولم أفاجأ بالنبأ ، ولم أسأله متى ولا كيف ، فقد كنت أعرف إجابة ذلك كله ولقـــد تلقيت الخبر في هدوء وسكينة باعتباره أمراً محتوماً ، بل لقد تلقيته بشعور من الراحة ، فقد كان هذا ما أصبحت أتمناه للرجل العظيم الذي أحببته وعاصرته خمساً وثلاثين سنة ، فما كنت أحب لهذا البطل الذي رأيته في عنفوانه ، أن يعيش عاجزاً أو ذليل المرض ، إن عزيز المصري الذي عاش بطلاً محارباً ، الذي عاش أمة بمفرده ، عزيز المصري مدوخ الطغاة والمستعمرين المحارب في الجبال والصحارى والوديان من أجل ما يعتقده حقاً يجب أن يذهب عن الدنيا كما عاش دائماً رافع الرأس موفور الكرامة ، مسموع الكلمة ، مرهوب الشخصية ، ولذلك فطالما تمنيت له في الأسابيع الأخـــيرة وأنا أرى ضوء حياته يخفت بالتدريج ، وأنا أرى ماء الحياة يجف من أطرافه ، وأنا أرى الاختلاط يدب إلى تفكيره أن يضمه الله إليه في رفق ، فلما أن تبينت أن النهاية قد جاءت بهذه السرعة اعتبرت ذلك كرامة تضم إلى كرامات الرجل التي امتلأت بها حياته ، وعناية من الله الذي كان يردد في الآونـــة الأخيرة أنه يعيش في ظله ومعه .

لقد ذهب عزيز المصري ولم تغشاه غيبوبة الموت إلا أربعــاً وعشرين ساعة ، أما قبل ذلك فقد ظل كما كان يجب أن يكون ، وكما اتخذ منه شعاراً فرضه على مدرسة البوليس عندما كان مديراً لها ، وهو طائر الصقر ... أجل ظل عزيز المصري حتى آخر

يوم من حياته صقراً جائماً يرتاد بعينيه الثاقبتين الجو من حوله ، حقاً إن الصقر كان مقصوص الجناح ، ولكنه ظل جائماً بكل حيويته وطاقته الكامنة بين فروع الشجر ، يحلق ببصره الحاد في كل ما يحيط به . . . في السماء ، في الأرض ، في الله والناس ، حتى إذا حم القضاء وغشيت العينين الغواشي ، فلم يعودا ترتادان وتحلقان هنا وهناك . . . كانت النهاية السريعة ، حتى لا يعيش عزيز المصري في الظلام ، وهو الذي عاش أبداً في النور . . . نور الحق ، واليقين ، والجهاد في سبيل الخير والناس أجمعين .

وعلى ذكر الصقر وعينيه النافذتين ، فما زلت أذكر كيف أذهلني عزيز المصري في إحـــدى زياراتي الأخيرة له ، عندما سألته إذا كان يطالع الصحف ، فإذا به يجيبني على الفور : طبعاً فحاولت أن أمتحنه لكي اطمئن حقاً لمطالعته الصحف وأفرح لذلك ، فعرضت عليه جريدة الأهرام وطلبت منه مطالعـــة العناوين الكبيرة ، فإذا به يمسك الجريدة ويقلبهـــا ثم يطالع المنشور فيهـــا تحت عنوان « حظك اليوم » وهو القسم الذي يكتب بأدق حروف في الجريدة ، ولم أستطع بطبيعة الحـال أن أتابع هذا الذي قرأ إلا بعد أن لبست نظارتي . . . فإذا ما طالعه بعينيه المجردتين في منتهى الدقـة . . . ولك أن تتصور مقدار ذهولي من هذه المفاجأة فرحت أردد . . . الله أكبر . . . الله أكبر . . . سبحان الله .

زيارة اسبوعية

وكان آخر عهدي بعزيز المصري هو يوم الاربعاء السابق على يوم جنازته ، حيث شهدت آخر ومضة من ومضات عزيمته وقوة إرادته ، فقد أبى إلا أن ينزل عن الفراش وأن يجلس على المقعد تجاهنا ، ويشفق عليه من عواقب ذلك رفيقــــه الأمين اللواء سعيد الألفي الذي كان ينوب عن مصر كلهـــا في الاشراف على حيـــاته في هذه المرحلة ويعترض ، ولكني أقف إلى جوار عزيز المصرى في أن يحقق إرادته ، ويقـــاوم المرض والضعف وملازمة الفراش ، بل وأبديت استعدادي إذا رغب في أن آخذ ثأري منه في لعب الطاولة ، فقد كان هزمني في الاسبوع السابق ، ويومىء برأسه موافقاً وقد لمعت عيناه بروح النضال .

حتى إذا جلس حيث أراد، بعيداً عن سرير المرض ،وأحس بنشوة الانتصار راح ينشدنا ما اعتاد أن ينشدنا إياه من معلقـــة امرىء القيس ، كآخر ما بقي في ذاكرته من حصيلة تسعين سنة عاشها نهماً إلى المعرفة، دؤوباً على القراءة والمطالعة ،ذواقاً لكل فنون الأدب والشعر والجمال . ويروح يترنم بالأبيـــات الستة ، ويتمايل طرباً مع كل بيت وكل حرف من حروفها ، ولا يفتأ يشرح لنا في كل مرة معنى المقصود بكل بيت ويشخص معانيه بيديه وذراعه ورأسه، وتشيع البهجـــة في نفسه ، بحيث أصبح تكرارها هو مقياس اطمئناني لصحته ومزاجه ، فإذا سكت

عنها في مرة من المرات أبادر فأسأله أن يسمعنا إياها ، فيتأجج بالنشاط والحيوية ويروح يردد الأبيات الخالدة :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف إعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه ... بأمراس كفان إلى صم جندل
وقد اغتدى والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

وأحمد الله أن وفق المقدم عبدالله صادق بتسجيل هذه الأبيات بصوت عزيز المصري لتحفظ للتاريخ هذه الناحية من حياته واعتدت أن أقول له كلما أسمعني هذه الأبيات :

— كأن هذه هي ذروة الشعر العربي .

— بلا شك .

فأتابع سؤاله مكرراً ما سبق أن قاله لي من قبل :

فكأن هؤلاء العرب في الجاهلية كانوا ذوي فهم وإدراك وإحساس بالجمال

فيبادر قائلاً وقد لمعت عيناه :

— بلا شك .

وأطمئن إذ نتبادل هذا الحديث أن عزيز المصري لا يزال يستمتع بالترف الذهني الذي عاش فيه طول حياته ، فقد كان لكثرة ما قرأ وطالع يعيش في ترف ذهني .

الوداع الأخير

وكانت هذه الأبيات هي آخر ما سمعتها منه بعد أن ترك الفراش وجاهد ليجلس على المقعد وأحسست أنه قد يكون في حاجة إلى الوحدة فقلت له :

– سنتركك يا باشا لترتاح .

– أجل أنا محتاج بالفعل للراحة ، ولثقتي أنكم أولادي ، فلا حرج علي أن أقول ذلك .

وقبلته وعانقته كما اعتدت أن أفعل وخرجت وأنا أدعو الله ، أن لا يجعله يذوي أكثر من ذلك .

وجاش في نفسي بعد أن علمت بنبأ الوفاة ، أن لا أذهب إلى البيت فلست أعرف لماذا تصورت أنه سيكون مزدحماً بالذين سيمضون إلى البيت عند سماع النبأ، ولم يقو عزمي للذهاب إلا مصاحبة أخي إبراهيم شكري ، وكان البيت على خلاف ما أتوقع ، يغشاه الهدوء كما هو الشأن في حياة عزيز المصري، وكان هناك هذا النفر الأمين الذي اعتدت أن أراه، اللواء سعيد الألفي والمقدم عبدالله صادق وكان هناك صديقه الطبيب اللواء أحمد الناقه

الذي ذهب لزيارته فقابله الخبر ... كما كان هناك المهندس كمال منسى وبعض رجال الراحل !

وكان أخشى ما أخشاه أن تكون « ست زينب » مديرة بيته وحارسة حياته في ثلثها الأخير والتي ترهبت في خدمته ، وكرست حياتها لتمريضه ، قد انهارت أعصابها ، وأفلت زمامها ولكني وجدتها جديرة بالموقف العظيم ، وجدتها ثابتة الجنان هادئة النفس ، ان مصيبتها بوفاة الرجل عظيمة ، كأعظم ما تكون المصيبة فقد كانت وهي ابنة الشعب البسيطة تعيش في كنفه موضع ثقته واعتزازه ، محاطة بالكرامة والاحترام اللذين يضفيهما عليها خدمتها للرجل العظيم .

وكان آخر حركة للرجل في الدنيا على ما حدثني عبدالله صادق الذي كان شاهداً لها إن عزيز المصري بعد أن تناول آخر عشاء له في هذه الدنيا ، وكأنه أحس بأنه مفارقها بعد قليل همّ بتقبيل يد زينب كعلامة على شكره لها ، ففزعت واستغفرت الله ، وانهالت تقبل يد الرجل وتقول :

ـ أنت رب نعمتي وصاحب الفضل عليّ ، في ظلك عرفت الكرامة والاحترام ، وقابلت أعظم الرجال ، مما يجعلني أفخر على الكثيرين والكثيرات ، فأنت رب نعمتي ، وأنا مدينة لك بكل شيء .. مدينة لك بحياتي .

وابتسم الرجل ابتسامة واهنة وأغمض عينيه وبدأ رحلته الأخيرة نحو الأبدية ... فراح في غيبوبة نهايته .

فكنت أتصور هذا شأن زينب ، وقد انهد ركنها بوفاة عزيز المصري ، أن أراها منهارة ، ولكني وجدتها حيث أحب لها أن تكون ، وجدتها هادئة صابرة راضية بقضاء الله ،وهكذا تمثلت في هذه المرأة فضائل شعبنا، واعتبرتها رمزاً لهذا الشعب.

ودخلت إلى حجرة عزيز المصري أودعه الوداع الأخير ، فكان المنظر المألوف في مثل هذه الحالات جسد مسجى فوق الفراش ومغطى بملاءة بيضاء ورفعت الملاءة عن وجه الرجل ولم تكن براثن الموت قد نالت منه ، ولولا امتقاع خفيف لما كان هناك شيء غير عادي ، ولكني عندما انحنيت على الجبهة الشماء الذي كان آخر عهدي بهـا حارة متوقدة ، أحسست ببرودتها تحت شفتي وأنا أقبلها .

ووجدتني أقول لعزيز المصري . عما قريب سنلحق بك.. أنتم السابقون ونحن اللاحقون .

أسابيع عزيز المصري الأخيرة

وخرجت من البيت واشتدت بي أعراض برد ألم بظهري فلم أستطع السير في جنازته ، فضلاً عن الذهاب معه إلى مستقره الأخير ، وهكذا ستظل آخر صورة لعزيز المصري في رأسي هي هذه الصورة التي اعتدتها في هذه الأسابيع الأخيرة، عندما كان يأبى كلما ذهبت إليه يوم الاربعاء من كل اسبوع ، إلا أن يستقبلني في الصالون ، وأن يحمل إليه حملاً بعد أن أصبحت

ساقاه عاجزتين عن حمله ، ولا يكاد يستوي على مقعده ، ويرتاح من الجهد الذي بذل حتى يقبل ، فأرى أمامي عزيز المصري كما اعتدت أن أراه منذ ثلاثين سنة صاحب الشخصية القوية الغلابة والوجه المشرق بالجلال والبهاء .

ويتحدث عزيز المصري عن ذكرياته ، ذكريات صبـــاه وشبابه ، ولم يكن باستطاعته أن يفعل غير ذلك والحياة توشك أن تنصرم ، ولم تبق له الأيام إلا الذكريات .

لقد ظل إلى بضعة شهور سابقة على وفاته ، يتنزه من حين لآخر في سيارته ، ويتردد على النـــادي المواجه لبيته (نادي الجزيرة) حيث يذهل من يلتفون حوله ، بما بقي لديه من آثار القوة والحيوية. وفي إحدى المرات أذهل رواد نادي الصيد عندما يصيب الهدف وهو جالس بطريقـــة معجزة بالنسبة لسنه وظروفه .

ولكني عندما بدأت أزوره ، كان هذا العهد قد انتهى ، وكف عن الخروج والتنزه ، وما أكثر ما حاولنا أن نستحثه على الخروج ، فكان يعد ، حتى إذا جاء أوان التنفيـذ زهد ، وهكذا قضي على الأسد أن يمضي الشهور الأخيرة حبيس بيته ، وقضي على الصقر أن تقص أجنحته فلم يبق لديه إلا دنيا الذكريات ، ذكريات الصبا والشباب . والعجيب أن ذاكرة عزيز المصري ووعيه كادا أن يفقدا نهائيـاً في هذه الأسابيع الاخيرة ، فلا يكاد يعرف من قابل بالامس ، وربما نظر إلى بعض من يترددون

عليه وسأله عن اسمه ، أمـــا عندما يرجع إلى الماضي البعيد ذكريات الصبا والشباب فهنــا تنحل العقدة ، وتنشط الذاكرة وتبعث ، وينطلق اللسان كما اعتاد أن ينطلق هنا وتنبسط نفسه ويلوح الانشراح على محياه ، ولذلك فقد كنا نستزيده من هذه الذكريات بالرغم من أننا أصبحنا نحفظها عن ظهر قلب لكثرة ما كررها وسمعناها من قبـــل ، ولكنه حديثه عنها أصبح هو سلوتنا الوحيدة للاطمئنان عليه .

والد عزيز المصري والفلاحين

ويحدثنا عن أبيه الشركسي الذي مات وهو بعد صغير ، وكيف كان طويلاً يصل إلى قمة الباب ويشير لنا في كل مرة على الباب ويرنو ببصره إلى القمة ، وليس بعجب أن يذكر عن سيرة أبيه إلا حادثة واحدة ؛ عندما زجر ناظر عزبته ، لأنه لم يحضر للفلاحين كراسي ليجلسوا عليها ، وعندما تهيب الفلاحون أنفسهم الجلوس على الكراسي في حضرته ، راح يلقي عليهم درساً في الكرامة الإنسانية وأنهم وهو سواء بسواء .

ويمضي عزيز في سرد ذكرياته : كان والدي يأخذني معه إلى مزرعتنا الصغيرة في دمنهور ، وكان يقول لي تعلم دائماً يا عزيز أن تحب الفلاحين وتكرمهم ، إنهم سر نعمة هذه البلاد.

عزيز المصري ويحيى حميد الدين

ولقد طالعنا في كتب التاريخ الحديث ، دور عزيز المصري

في اليمن ، وكيف نجح في إحلال السلام في اليمن بين الجيوش العثمانية والقبائل اليمنية بعد أن ظلت مشكلة مستعصية على الحل عشرات السنين ، ولكن هذا التاريخ الطويل الذي طالما سمعناه منه من قبل قد تلخص وتركز في صورة واحدة هي التي بقيت عالقة بذاكرته ..صورته عندما ذهب لأول مرة ليقابل يحيي حميد الدين إمام اليمن في ذلك الوقت، وكان من عادة الضباط الأتراك المتغطرسين إذا ذهبوا لمقابلته ، أن يطأوا بأحذيتهم السجاجيد التي يجلس عليها ، أما عزيز المصري ، فقد خلع حذاءه قبل أن يدخل ويطأ السجاجيد ، فما كان من يحيى حميد الدين إلا أن خف لاستقباله ومعانقته هاتفاً في أتباعه أن عزيز المصري ابنه .

الوميض المتقطع

وكان وعي عزيز المصري في هذه الفترة الأخيرة من حياته ، يشبه مصباحاً كهربائياً انقطعت الاسلاك الموصلة إليه ، ولكنها ظلت متصلة تومض حيناً وتعتم حيناً آخر ، فبينما تراه نفاذ الفكر يحيط بالماضي والحاضر ويتحدث عن المستقبل ، ويضحك على النكتة ، ويلعب النرد ، ويتحرى عن بعض الأشخاص ، إذا به فجأة وعلى غير انتظار قد فارقه الوعي ، وانقطع عن الحاضر الذي يعيش فيه ، ولا يبقى أمامه إلا أن يعود إلى البحر الذي لا ينفد ، بحر الذكريات فيغترف منه . كيف تشاجر في إحدى المرات وهو لا يزال طالباً في كلية الحرب باستنبول ، مع عصمت اينونو

رئيس جمهورية تركيا بعدذلك، وكيف ضربه لكمة في أنفه فسال منها الدم، فصاح فيه عزيز بالتركية أن يذهب إلى الحنفيات ليغسل وجهه . ويكرر عزيز المصري الألفاظ التركية كما نطق بها منذ ستين سنة ، ويمضي في استعادة صور هذا الموقف بعد أن دخلا إلى الفصل ، وعصمت يشير إليه محركاً يديه في عتاب .

وحدث أن قلت له عقب موت فاروق :

– لقد مات فاروق .

فرد عليّ قائلاً :

– ولقد مات حسنين كذلك .

ويحركه حديث الموت فيشير على صورة رجل بالقرب منه ويقول :

– وهذا الرجل أيضاً مات ... ولكنه رجل طيب .

ويبهجني ثناؤه على هذا الرجل الطيب ، فقد قدر لي أن أعرفه في أحلك اللحظات وأن ألمس عميق إخلاصه وشجاعته والرجل الذي يعنيه عزيز المصري هو أحمد حلمي باشا ، رئيس حكومة فلسطين ، وتجره صورة أحمد حلمي باشا إلى بقية الصور التي تحيط به ، فيروح يشرح لنا كل واحدة منها فهذه صورة ابنه عمر وهو يحمل بين يديه حفيد عزيز المصري ، وهـــذه صورة زوجته، لقد جاءا إلى مصر وزاراه ، وهذه صورتها إلى جواره، أما هذه فصورة عمر بعد أن ربى شاربه فأصبح كثاً غليظـــاً ويضحك عزيز المصري ويقول إنهاء المودة «في أمريكا ، ولست

أظن إلا أن ابنه قال له ذلك ليفسر هذا الشذوذ ، الذي لاتفسير له عندي إلا أن روح الأجداد القوقازيين قد غلبت على عمر عزيز المصري بالرغم من أنه يتعلم في إحدى الجامعات الأمريكية ، فجعلته ينمي شاربه بهذه الغزارة غير الطبيعية وتلمع عينا عزيز المصري ، ويحدق طويلاً أمام إحدى الصور ، ويأبى فى كل مرة إلا أن تحمل إليه ويروح يشرح لنا محتوياتها .

إنها صورة جماعية ، حيث يؤلف عزيز المصري واسطة العقد فيها ، وهو في شرخ الشباب، والنفر الذي يحيط به من الضباط الأتراك ، وقد ارتدوا جميعاً ملابس البلغار ليكونوا أقدر على التخفي والاقتراب منهم ومحاربتهم[1] .

جدود عزيز المصري الأقدمون

وتبتعث الصور والذكريات من مراقدها ، ومـا بين مئات الذكريات المتناثرة ،فقد استولت ثلاث صور منها مكان الصدارة فكانت تلح عليه أبداً ، ولا تفتأ تعاوده فيكررها في الجلسة الواحدة أكثر من مرة .

فأما أولى هذه الصور فلم تكن من تجاربه الشخصية ، وإنمـا رويت له ونقلت إليه ، ومن هنا فقد كانت تجيء دائماً مهزوزة

---

(١) كانت بلغاريا حتى سنة ١٩٠٩ إمارة تحت حماية الدولة العلية العثمانية منذ قرون ، وكانت العصابات البلغارية تقلق الأمن أحياناً .

مختلطة ، وتدور هذة الصورة حول جدوده الأقدمين والعائلة الشركسية التي انحدر منها والتي كانت تنتمي إلى قبيلة مشهورة في القوقاز تسمى «شاه بلو »أي الله يضيء وقد قاد أحد أجداده (وأحياناً عمه) هذه القبيلة في حرب ناجحة ضد القياصرة حتى استطـــاع أن يهزم جيوشهم وأن يطاردهم حتى لحق بهم في بطرسبرج (لننجراد حالياً) وفي بطرسبرج عقد القيصر الصلح مع هذا الجد (أو هو العم) وقرر أن يخطب وده فبعث إليه بولي العهد زائراً . ومبرماً وإياه عقداً من الصداقة فما كان من جد عزيز المصري إلا أن أعلن قبوله لهذه الصداقة شريطة أن ينظف الروس أنفسهم ، فهم لا يتطهرون عقب قضائهم الحاجة، وراح يعلم ولي العهد قواعد (الاستنجاء) كما يمارسها المسلمون .

وتقف القصة عند هذا القدر ويضحك ونضحك ، باعتبارها نكتة ! ثم يتحدث عن هجرة هذه القبيلة إلى الاناضول وزواج بعض أفرادها من بنات السلطان وتزوج السلطان واحدة منهم.. ولكنها لا تلبث أن تضطرب ويشوبها الغموض لأنها كما قلت مما رويت له وليست من تجاربه ، وقد كان مولده في مصر وحبه الشديد لها قد طمس معالم هذا التاريخ في نفسه ، ولذلك فلم أستطع تتبع هذه القصة بأكثر مما رويت لك .

حبه العذري لمترو

أما القصة الثانية التي سمعتها منه منذ السنوات الأولى لمعرفتي

به وظلت عالقة بذاكرته حتى اللحظة الأخيرة ، ولخص فيها كل تاريخ مغامرته في بلاد البلغار ، فهي قصة غرامه العذري بفتاة من بلغاريا باسلة تدعو مترو ، وكانت الدولة العثمانية قد عهدت إليه بالقضاء على ثورة البلغار في بعض المناطق ، فنجح في مهمته نجاحاً منقطع النظير ، وأحبه البلغار وأحبهم ، وكان سبيله إلى كسب قلوبهم ، هو ما تميز به عن كل من سبقه من الضباط الأتراك ، حيث عف عن نساء البلغار ، فلم يعتد على أي منهن ، بل لم يمارس الغرام مع أي امرأة بلغارية من أي نوع كان. وكان إذا ضاق به الأمر (على حد قوله) ذهب الى مدينة سلانيك اليونانية[1] ، ليمارس الغرام بعيداً عن مقر عمله ، فكان لهذه الاستقامة والعفة غير المألوفة ، أثرها في نفوس البلغاريين ، كما استطاع أن يحصل على احترامهم من خلال جسارته ، فقد كانوا يفاجأون به وهم مدججون بالسلاح يقف بمفرده في وسطهم . حتى لقد بلغ من إعجابهم به إلى حد أن عرضوا عليه الزواج بابنة أحد امرائهم السابقين والمناداة به ملكاً على البلغار .هذه الحياة المثيرة والحافلة بالمغامرات والوقائع ، قد تلخصت كلها وتركزت في صورة واحدة ، ظلت تلح عليه ولا يفتأ يكررها . ويكررها .

---

(١) عندما كانت أيامها ولاية عثمانية، ولكنها سقطت بيد الجيش اليوناني سنة ١٩١٢ عندما باغتت جيوش الدول البلقانية المتحدة دولة آل عثمان في مكدونيا ، واستولت عليها كلها .

فقد اهتاجه الشوق ذات يوم لرؤية مترو هذه الفتاة البلغارية التي أسرت لبه بجمالها النادر وشجاعتها غير المعقولة ، وإذ كان يعلم أنها تسكن في قرية فوق قمة الجبل ، فقد راح يصعد إلى هذا الجبل بمفرده حتى وصل إلى بيت أبيها ، الذي كان يجلس في ذلك الوقت الى جوار النار ، ولم تكد عينا الرجل تقع على عزيز المصري حتى هب مذعوراً من جلسته ووقف يحملق في هذا القادم ، فما كان من عزيز إلا أن أقعد الرجل كما كان إلى جوار النار وطلب منه أن يطمئن ولا يخاف شيئاً.

فقال له الرجل :

– أنا أعرف لماذا جئت، إنك جئت من أجل مترو ،ومترو ليست هنا ، لقد ذهبت لتزور صويحباتها . وبينما كانا يتجاذبان الكلام إذ جاءت مترو .

وتنقطع الصورة وتهتز في ختامها ، بل قد تهتز في بدايتها ، ولكن هذا القسم الخاص بنهوض والد مترو وفزعه من عزيز المصري وإعادته من جديد إلى الجلوس إلى جوار النار وقوله لعزيز المصري أنه يعرف لماذا جاء ... الخ ما ذكرت . هذا القسم يظل عزيز المصري يكرره ويكرره في غير اضطراب وفي دقة عجيبة ، ويضيف عزيز المصري في كثير من الأحيان ، أنه لم يمس مترو . وأنها تعلقت به من أجل ذلك ، حتى وصل الأمر ببعض مواطنيها إلى قتلها .

وتدمع عينا عزيز ويقول :

– فليرحمها الله .

وأقول :

– آمين .

وهكذا يؤكد عزيز المصري قول الشاعر : ما الحب إلا للحبيب الأول ، فما أكثر ما امتد العمر بعزيز المصري بعد أيام البلغار ، وما أكثر ما عرف من جميلات ، وما عرضت عليه من زوجات . ثم اختار حبيبة قلبه الامريكية وتزوجها بالفعل ، ولكنه وهو في أيامه الاخيرة كان يعود دائماً بذاكرته إلى مترو إلى حبه العذري ، إلى قولة أبيها : أنا أعرف انك تريد أن ترى مترو ، لقد ذهبت مترو لصويحباتها ... ثم تجيء مترو وتنقطع الصورة لتبدأ من جديد .

ملك العراق

وعلى ذكر عرض بعض البلغاريين عليه أن يكون ملكاً ، فقد تكرر هذا العرض على عزيز المصري اكثر من مرة في أكثر من بلد .

فقد حدث أن استدعاه ياسين الهاشمي بعد أن أصبح رئيساً لوزراء العراق ، وكان يعتبر نفسه تلميذاً لعزيز المصري ويحمل له أقصى الحب والولاء منذ أسس عزيز جمعية العهد والجمعية القحطانية باستنبول التي تدعو إلى توحيد العرب وإعادة مجدهم القديم .

ولبى عزيز المصري دعوة زميله القديم في السلاح وسافر إلى

بغداد ، ولكنه قبل أن يستقر به المقام طلب من ياسين الهاشمي أن يساعده على زيارة إيران فهو شديد الشوق لزيارة معالمها والوقوف على آثارها ، فما كان من ياسين الهاشمي إلا أن صرخ في وجه عزيز قائلاً :

ـ ما هذا يا رجل !؟ أأشد عليك هنا الى بغداد لأجعل منك ملكاً وأنت تفكر في زيارة إيران . وتقف قصة عزيز المصري عند هذا القدر(١) .

رؤية عزيز في شبابه المبكر لسيدنا محمد

على أن الصورة التي كانت تعلو بقية الصور في ذاكرته ، والتي لم يكن يمل من تكرارها ، بل لا يكاد يفرغ منها حتى يعود لسردها ، هي رؤيته لسيدنا محمد في المنام ، وكان ذلك في شبابه المبكر عقب تخرجه من كلية أركان الحرب .

ولقد سمعت منه هذه القصة عند بدء تعارفنا عليه ،ولكنها لم تترك في نفسي كبير أثر ، فقد كان يرويها فيما يروي من عديد الحوادث والذكريات ... أما في هذه الفترة الاخيرة ، فقد كان

---

(١) لقد فطن المندوب السامي البريطاني في العراق - هنري دوبس - إلى خطورة وجود عزيز المصري في العراق ، فدعاه لتناول الشاي عنده وسأله قائلاً : لماذا جئت لبغداد ؟ فأجابه عزيز بعنف : هذه بلادي ، ولكن لماذا أنت هنا في العراق ؟ ثم تشاجرا وعاد عزيز إلى مصر .

حديثه عن هذه الرؤيا يزلزل نفسه زلزالاً في كل مرة يقصها ، وأشهد أنه كان يقص الرؤيا كما لو كان شريطاً مسجلا ، لا حرف زيادة أو نقص ، حتى الحركات والايماءات التي تصاحب القصة لا تتغير أو تتبدل .

وتبدأ الرؤيا خلال نومه عقب تخرجه من كلية اركان الحرب في استنبول، فرأى فيما يرى النائم أنه يقصد محلا مشهوراً في صنع الجيلاتي (الداندورما) وهو يقع قريب مسجد أيا صوفيا، وبينما كان يحاول اجتياز الطريق ، إذ شاهد على الرصيف المقابل خمسة نفر يحيط أربعـــة منهم بخامس يمثل البهاء الانساني والكمال البشري، وهتف هاتف محمد واصحابه جاؤا يحيون عزيز المصري.
ويذهل عزيز المصري ويرتج عليه ، فينظر إلى السماء مستغيثاً بالله ويصرخ قائلا مخاطباً الله :

ـ هذ كثير عليّ .. كثير عليّ ، والآن قل لي ماذا أفعل.. كيف أتصرف .. أأقبل يديه أم أقبل قدميه .. أم أقبل الارض تحت نعليه .. هذا كثير عليّ .. كثير عليّ.

ويهيأ له كما يهيأ للنائم أن الله يضحك منه ، ويقول هذا هو عزيز المجنون وتقف الرؤيا عند هـــذا الحد ، بينما يمضي عزيز المصري في حديثه عن سيدنا محمد أنه أكمل إنسان في الوجود وأعظم من عرفت البشرية إنه الجمال والبهاء .

ثم يردد الحديث الشريف : « من رآني في النوم فقد رآني

حقاً » ، ومن ذلك إلى أن يوصينا بالتمسك بحبل الله المتين، وأنه لن يكون للفرد أو الجماعة نجـــاح ، إلا في الإيمان بالله الواحد الأحد ومحمد رسولاً ، وبالقرآن نبراساً ومنهاجاً .

ويمضي عزيز المصري وقد تهدج صوته قائلا :

ـ يجب أن يتحاب الناس ويتعاونوا ، يجب أن ينزعوا من قلوبهم الغل والحقد والحسد والغيرة والانانية. يجب أن يتحابوا، يجب أن يتحابوا ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال الإيمان .

هذه كلمـــات عزيز المصري وتلك وصيته فسلام عليه في الخالدين ، سلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .



من أعلام العروبة

محمد علي الطاهر

نشرت في جريدة الأيام الدمشقية ٢٨ ابريل – نيسان سنة ١٩٥٥

وصل من مصر الأستاذ محمد علي الطاهر إلى دمشق منذ بضعة أيام، ومنذ وصوله فندق سميراميس حيث نزل وهو مقصد العظماء والكبراء وقادة الأمة ومفكريها . وقد رأينا في زيارته رؤوساء وزراء سابقين وحاليين ، ورؤساء مجالس نواب ورؤساء عشائر ونواب و كتّاب وصحفيين ومحامين والكل يتسابقون للحفاوة به والترحيب بقدمه .

ولو حل على بغداد ضيفاً لاستقبل بمثل هذا الاستقبال أو بما هو أروع كما حدث منذ عامين .. ولو أنه نزل ضيفاً بجاكرتا عاصمة اندونيسيا فقد يستقبل استقبالاً رسمياً ، لأنه ساعد سوكارنو رئيس الجمهورية عندما كان لا يزال طالباً ، وساعد كثيرين من وزراء وسفراء اندونيسيا ورجالاتها، كان الطاهر ولي

أمرهم عندما كانوا طلاباً في مصر ، فليس يدهشنا إذا سمعنا عن استقبال رسمي له في جاكرتا .

وأما مكتبه في مصر ، أو قل ندوته ، فهي صورة مستمرة ومتكررة لما يلقاه في أية عاصمة عربية يحل بها.. سفراء ووزراء مفوضون ، ورؤساء وزارات وامراء ، وكتـــاب ومحامون وصحفيون من سائر أنحاء العالم العربي.. الجميع يروحون ويغدون ويلتقون في ندوة الشورى . نـدوة محمد علي الطاهر بالقاهرة ، ومحمد علي الطاهر بعد ذلك ليس وزيراً ، ولا صاحب منصب ، وليس هو صاحب لقب أو جاه زائف مما تواضع الناس على تسميته بالجاه، وإذا كان يصدر الشورى في القديم فقد عطلتها الحكومات ولم تسمح بعودتها .. فبأي سر استطاع محمد علي الطاهر ، أن يكون هذا المحور لكل هذا التقدير ، والاحترام الذي يشعره بمكانته ؟

يقول البعض من أعداء الرجل الذين هاجمهم في يوم من الأيام لانحرافهم ، إن الكبراء والقادة يقبلون عليه ويزورون داره خوفاً منه ، أو تقاة ، ولو صح هذا فإنه يضاعف في قدر الرجل إلى أبعد الحدود ، فأي سلطان هذا الذي يملكه محمد علي الطاهر ويجعل كبراء الأمـة العربية يتهافتون على مرضاته ؟ وإذا جاز هذا في الماضي حيث كان يصدر جريدة الشورى ، فكيف يجوز اليوم وهو لا يملك جريدة يهاجم فيها من يشاء . . الحق ان محاولة تفسير الحفاوة المنقطعة النظير التي يلقاها محمد علي الطاهر

بالخوف منه ، لا تنقص من قدر محمد علي الطاهر وإنما ترفع من شأنه ..

وإنما التفسير الصحيح لما وصل إليه محمد علي الطاهر من مكانة مرموقة في العالم العربي والإسلامي ، يرجع في اعتقادي إلى الصفة الباهرة التي يتحلى بها ، والتي تعتبر مفتاح شخصيته التي تتفرع منها صفاته الأخرى ، ألا وهي صفة الاستقامة .. محمد علي الطاهر مستقيم في تكوينه المادي والروحي استقامة الرمح . ومن هنا كان كالرمح في كل صفاته وخصائصه ، انظر إلى جسده النحيف تراه نسج وحده بين الرجال في مثل هذا السن التي وصل إليها وقد اقترب من الستين . إن طبيعة بنيتنا في الشرق العربي تميل إلى الترهل في وقت مبكر ، وما أسرع ما تبرز لنا (الكروش) وتكتنز أجسادنا بالشحم ، بل ما أسرع ما يهاجمنا الخمول ، ولكن محمد علي الطاهر قد شذ على هذه القاعدة ، فالانسان لا يراه إلا مسرعاً في مشيته حتى لكأنه يعدو ، والإنسان لا يراه إلا منتصب القامة مرفوع الرأس، مرهف السمع والحس والبصر ، في حالة يقظة مستمرة ، فكأنه حزمة أسلاك كهربائية من هذه الحزم التي تتألف منها الأجهزة الحديثة والتي تبلغ من الحساسية درجة تفوق التصور الإنساني ..

ويحمل محمد علي الطاهر (عصا) أشبه الأشياء بجسده ، فهي رفيعة متينة ، إذا أمسكتها بيدك راعتك فيها استقامتها أكثر من أي صفة أخرى ..

هـذه الاستقامة في تكوين محمد علي الطاهر الجسماني ، هي ذاتها الاستقامة التي تؤلف جوهره الروحي ، وهي التي أوصلته إلى هذه المكانة المرموقة التي يغبطه عليها عشرات ممن تسنموا أعلى المراكز فكانوا أصحاب دولة وفخامة .

بـدأ محمد علي الطاهر حياته حرباً على الأستعمار في جميع صوره وأشكاله . لقد نشأ فلسطينياً فكان حرياً به أن يكره الاستعمار الانجليزي ، وأن يسعى وهو يحاربـه إلى خطب ود دولة أخرى من الدول كما يفعل الكثيرون ممن يصفون أنفسهم بالكياسة والدهاء . ولكن محمد علي آمن منذ عصر مبكر ، بأن الاستعمار وحدة واحدة لا تتجزأ ، ولذلك فقد هاجمه في كل صورة وأشكاله . هاجمه في مصر وعدن وفلسطين والعراق ضد الانجليز ، وهاجمـه في سورية وشمال افريقيا ضد الفرنسيين ، وهاجمه في ليبيا ضد الطليان ، وهاجمه في اندونيسيا ضد هولندا ، هاجمه وتعقبه في كل مكان ، ولم يرحم أي مواطن عربي حاول أن يهادن الاستعمار في إحدى صوره وأشكاله ، لم يعترف في أي يوم من الأيام بأنه في سبيل حرب فرنسا لا بأس من التقرب إلى انجلترا .. وفي سبيل حرب انجلترا لا بأس من التعاون مـع الطليان .. لم يقبل محمد علي الطاهر هذه النظرية ، ولما كان كثير من ساسة العرب وقادتها وكتابها وصحفها قد اعتنقوا هذا المبدأ في فترة أو أخرى ، فقد هاجم محمد علي الطاهر الجميع وهاجمهم بعنف شديد ، غير ناظر إلى علاقات الصداقة التي تربطه بهم ، غير مقيم

وزناً لأنه مدحهم بالأمس وأسرف في مدحهم ، لقد انحرفوا وجنحوا نحو مهادنة المستعمر في احدى صورة فاستحقوا غضب الرجل الذي يعادي الاستعمار .

ودارت الأيام . وأحس كل سياسي ، أنه كان مخطئاً في تقديره ، وان الحقيقة أن الاستعمار وحدة واحدة ، وانه لا يجدي معه سوى الصلابة والتطرف . صلابة محمد علي الطاهر وتطرفه الذي كانوا يجدونه دائماً حيث تركوه .. سيفاً مسلطاً على كل انحراف أو تردد أو ضعف .

أربعون سنة اشتغلها محمد علي الطاهر بالقضايا العربية ، فهل يستطيع إنسان واحد أن يقول انه وضع قلمه في يوم من الأيام في خدمة حاكم أو مستعمر في طول الأرض وعرضها ؟ هل يجرأ إنسان واحد ممن يحاولون التشكيك في شخصية محمد علي الطاهر وأهميتها في العالم العربي أن يأخذ عليه طوال هذه الأربعين سنة ، موقفاً واحداً ظاهر فيه الانحراف ، أو الظلم أو الكبت للحريات ، أو مالأ فيه الحكام في خطأ ارتكبوه فضلاً عن ممالاة المستعمر الأجنبي ؟

إن أحداً لا يجرأ ولم يجرأ أحد على إدعاء ذلك ، بل أقصى ما قيل في هجو محمد علي الطاهر هو أنه عادى الكثير من الناس. وحقاً لقد عادى محمد علي الطاهر كثيراً من الناس وما زال يعاديهم ، ولكنه فعل ذلك وما يزال يفعله بالمنحرفين والمارقين والذين ضلوا طريق الاستقامة .. وقديماً قال القائل إن كلمة الحق لم

تبق لي صديقاً ، فيكفي أن يكون الإنسان مستقيماً مجاهراً بالحق لكي يغضب العشرات والمئات من أصدقائه قبل خصومه ..

ولو لم يكن محمد علي الطاهر نسيج وحــــده لحملته صروف الزمان على التحول عن خطته في الحياة .. فهو لم يلــــق من استقامته سوى الأذى وضيق الحال والسجن والاعتقال والتشريد .. بينما كانت مباهج الدنيا كلها مبسوطة أمامه ، كما بسطت لمن هم أقل شأناً منه لو انه رضى أن يحني رأسه قليلاً ، وأن يكف عن استقامته ..

ولكن محمد علي الطاهر انتصر على نفسه أعظم انتصار يمكن للإنسان أن يدركه .. فلم يزده الاضطهاد ولم تزده الكوارث إلا صلابة على صلابة ، وإلا امعاناً في الاستقامة ، وليس أدل على انتصار محمد علي الطاهر انه يقترب اليوم من الستين من عمره ومع ذلك لم يصبح وزيراً ، ولم يصبح صاحب جريدة ولا يملك ضيعة أو عمارة أو أسهماً في بنك من البنوك أو شركة ، ولم يحصل على لقب من الألقاب .. انه كان منذ أربعين سنة محمد علي الطاهر المجاهد المستور الحـــال والذي هو بالليل والنهار حرب على الاستعمار وأعوان الاستعمار في كل صوره وأشكاله ، نظيف اليد طاهر الذيل ، عنوان على الاستقامة .. وهذا هو النصر الذي لم يحرزه في العالم العربي إلا أفراد قلائل .. وهذا هو سر ما يلقاه محمد علي الطاهر من احترام أصحاب المكانة واكبارهم في كل قطر عربي يحل به ..

بقيت هناك صفة تنبثق من صفة الاستقامة وهي نتيجة طبيعية لها ، ألا وهي الوفاء للمجاهدين في البلاد العربية والإسلامية . فمن تطوان حتى آخر بلد في ربوع جزيرة العرب وبلاد الرافدين.. ومن أواسط أوربا حتى اندونيسيا في المشرق، وحتى أحشاء الصين نجد للمجاهدين في شخص محمد علي الطاهر درعاً ونجدة وحماية .. ما من مجاهد إلا ويعرف محمد علي الطاهر يقف إلى جواره ويشد أزره . وما من مجاهد إلا ويعرف محمد علي الطاهر لما قدمه له من عون على قدر طاعته .. وقد لا يكون من حقي أن اتحدث عما قدم محمدعلي الطاهر للآخرين.. ولكني أستطيع أن اتحدث عما قدمه لي أنا شخصياً فأشهد لقد وقف إلى جواري منذ بدأت كفاحي في مصر منذ ربع قرن ، وعندما أخذ فاروق بتلابيبي وأوشك أن يحرمني الحياة ، أقام محمد علي الطاهر الدنيا وأقعدها في العالم العربي ، وجهز المحامين من العراق ولبنان وسوريا ليدافعوا عني ، فكان لذلك أثره في تنبيه الرأي العام ...

وبعد فإن محمد علي الطاهر جدير بما يلقاه من إكبار وتكريم رجالات العرب وزعمائهم ، وإني لأعرف الناس بما يبدو أحياناً في تصرفات محمد علي الطاهر أو أقواله من عنف وخشونة،فمثله في ذلك مثل القطعة الموسيقية التي تصورالطبيعة، بما فيها من عنف وصخب وحرارة ولهب ، وما فيها من لين ودعة وجمال وحب ، فلا تكاد المعزوفة الموسيقية تنتهي حتى

يحس الإنسان أنـه كان يعيش مع القطعة نفسها ، وقد امتلأت نفسه بالنشوة الروحية ..

وكذلك محمد علي الطاهر ، من أراد أن يدرك شخصيته لا ينبغي أن يقف أمام جزئية من الجزئيات .. أو حادثة مـن الحوادث .. وإنما ينبغي عليه أن ينظر إلى هذه الشخصية التي تكاملت خـلال الأعوام الأربعين الأخيرة لتؤلف رمزاً على الاستقامة والإنسانية الكاملة ..

وقد بقي أن يعرف من لم يكن يعرف انني ما كتبت هذه المقالة لكي تكون مجرد مدح أو ثناء على محمد علي الطاهر ، ولكن لتكون درساً للشباب في كـل العالم العربي .. وهو أن العظمة الحقيقية لا تقاس بالأموال أو المناصب أو الألقـاب الرفيعة .. وإنما بالاستقامة وما يتفرع عنها من إخلاص ووفاء وثبات على المبادىء القويمة ..

غزوة أحد كما يصورها القرآن
والدروس المستفادة منها

كثر ترديد ذكر غزوة أحد في الآونة الأخيرة للتآسي بها فيما حاق بالجيوش العربية من هزيمة « في ٥ يونيو – حزيران ١٩٦٨ » . على أن الوقوف عند حد التآسي بما حدث في غزوة أحد من هزيمة دون الاستفادة من باقي دروسها الأخرى ، حري أن يضر بنا ولا يفيد في إزالة آثار العدوان .

غزوة بدر

من العبث التحدث عن غزوة أحد استقلالاً عن غزوة بدر التي سبقتها بعام والـتي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً ، حسم القضية نهائياً بين الشرك والإيمان لمصلحة هذا الأخير .

لم تكن معركة أحد ، سوى خطوة على الطريق الذي شقه المسلمون في غزوة بدر طريق الحق والتوحيد ، ولم يعد يضيرهم أن يتوقفوا خطوة ، أو يرجعوا خطوات ، فالحرب سجال وكر وفر ، وكان الأمر قد قضي ببدر وحسم . ولنعرض الآن لوقائع غزوة أحد .

غزوة احد

يقول ابن هشام كاتب سيرة النبي صلوات الله عليه :

« لمـا اصيب من اصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع المنهزمون إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بالقافـلة ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممـن اصيب آباؤهم أو

أبناؤهم أو اخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب، وكل من كانت له في عير قريش تجارة ، فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد قتل خياركم ، وقد وتركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، فوافقت قريش على ذلك » .

وفي موعد بدر من العام التالي ، خرجت قريش بجدها وجدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامه وخرجوا بنسائهم حتى لا يفروا ويكون ذلك أمعن في القتال حتى النصر أو الموت .

وهكذا وصلوا بجموعهم حتى أصبحوا قرب المدينة .

خطة رسول الله الدفاعية

ووصل نبأ زحف المشركين على المدينة ، فرأى رسول الله في منامه رؤيا قصها على أصحابه :

« رأيت بقراً لي تذبح ورأيت في ذباب (نهاية) سيفي ثلماً، فأما البقر فهي أناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ».

يقول ابن إسحاق فقال رسول الله صلى عليه وسلم :

« فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن

أقلوا أقاموا بشر مكان ، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها » وكان عبدالله بن أبي بن سلول من هذا الرأي .

فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وكانت قد فاتتهم غزوة بدر :

يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا حتى لا يرون أننا جبنا عنهم أو أننا ضعفنا .

ولم يزل هذا النفر الذين كانوا يحبون لقاء القوم يحاورون رسول الله حتى نزل عند رأيهم فدخل إلى بيته ولبس لأمته (الدرع) ثم خرج عليهم متجهزاً للقتال . وكان الناس في هذه الأثناء قد ندموا على إلحافهم على رسول الله وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (درعه) أن يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

ولكنه لم يكد يمضي في الطريق حتى انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلثمائة من أصحابه ، بدعوى أنه لن يكون ثمة حرب بين رسول الله والمشركين ، والحقيقة أنه رغبة في خذلان الرسول .

النزول عند رأي الجماعة

وواضح أن هذه القصة أن الأقلية (٣٠٠) وكان على رأسها عبدالله بن أبي بن سلول كانت ضد الخروج لمقابلة المشركين ، وأن الأغلبية (٧٠٠) كانت مع فكرة الخروج والمواجهة . وعلى الرغم من أن رأي الرسول الخاص ، كان من رأي الأقلية ، فقد آثر أن ينزل عند رأي الأغلبية ،تثبيتاً لقواعد الشورى واحترام رأي الأغلبية .

وقد كانت هذه خطة سيدنا محمد صلوات الله عليه في كل ما يتعلق بشؤون الحرب ، حيث كان يأخذ برأي الثقات وان خالف رأيه . فنحن نعلم أنه في موقعة بدر قد اختار مكاناً للمعركة ، ثم اقترح عليه مكاناً أكثر مناسبة وهو المرابطة عند عين بدر ، فأخذ بهذا الرأي وعدل عن رأيه ، فكان النصر .

وفي غزوة الخندق ، لم يكن حفر الخندق إلا بناء على إشارة سلمان الفارسي ، وعلى الرغم من أن العرب لم يكن لهم سابق عهد بحرب الخنادق فقد انصاع الرسول لهذه الفكرة ، وكان النصر .

الرسول يعبيء جيشه للمعركة

واختار الرسول مكان المعركة ، وحظر على أفراد جيشه أن يشتبكوا إلا إذا أعطاهم الأمر ، وحصن رسول الله ظهر

جيشه بمرتفع من الأرض وهو ما يسمى جبل الرماه ، وطلب إلى فرقة الرماة من جيشه وكان عدد أفرادها خمسين رجلاً ، أن يقفوا على هذا التل ليحموا ظهر الجيش حتى لا يؤخذ من خلفه، وعيّن عبد الله بن جبير رئيساً على الرماة ، وقال له : انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت في مكانك لا تؤتين من قبلك .

وفي بعض الروايات أنه قـال له : حتى لو رأيت الطير تتخطفنا فإياك أن تتحرك من مكانك .

إنتصار المسلمين في احد

والقرآن صريح في أن المسلمين قد انتصروا في أحد في بداية المعركة ، وكان عبدالله بن عباس ، يتحدث عنها باعتبارها كانت نصراً مستشهداً في ذلك القرآن .

يقول ابن إسحق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيف (أي قتلوهم) حتى كشفوهم عن المعسكر وكانت هزيمة المشركين لا شك فيها . يقول الزبير على ما نقله عنه ابن إسحق :

والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم (خلخال). هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هو أرب ، ما دون أخذهن قليل أو كثير .

وإلى هذا النصر يشير القرآن الكريم :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ».

الرماة يخالفون أمر النبي

ثم كانت زلة الرماة ، عندما خالفوا أمر رسول الله تصوراً منهم أن المعركة قد انتهت، وبدأ دور جمع الغنائم فتركوا الموقع الذي أوقفهم فيه رسول الله، واندفعوا يجمعون الغنائم والأسلاب.

وإذ كان خالد بن الوليد على رأس فرسان المشركين في هذا اليوم ، وهو من تعرف عبقريته الحربية ، ولذلك فقد انتهز هذه الفرصة لينقض بخيله على جيش المسلمين من خلفه ، وتصايح المهاجمون « مات محمد ... مات محمد » فكان لهذه المباغتة وهذا الخبر أثره في تفريق جمع المسلمين فكانت الهزيمة .

وقد صوّر القرآن الهزيمة وأسبابها فقال وقوله الحق :

« حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين».

« إذا تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون » .

تربية وتعليم

فأنت ترى أن هزيمة المسلمين في غزوة أحد ، لم تكن لنقص في عددهم أو ايمانهم ، أو لتخلي الله عنهم ، فقد أيدهم ونصرهم في الوقت الذي كان عددهم لا يكاد يصل إلى رُبع عـــدد عدوهم (٧٠٠ ضد ٣٠٠٠) وذلـك عندما كانوا يقاتلون في سبيل الله مخلصين له الدين . أما عندما غرّتهم الدنيا ، وطمعوا في الأسلاب حتى ولو خالفوا أمر رسول الله ، فقـد كان حقاً لله في سبيل تربيتهم وتعليمهم أن يتخلى عنهم فكانت الهزيمة . ونزل القرآن الكريم يحلل أسباب الهزيمة ، حتى لا يعودوا لمثلها .

الرسول يعالج آثار الهزيمة على الفور

ويضرب لنا الرسول درساً من أروع دروس الإيمان من ناحية والتخطيط الحربي من ناحية أخرى لمحو آثار الهزيمة بأسرع وقت حتى لا تدع هذه الآثار تتسرب للنفوس . فلم يكد يصل إلى علمه في أمسية الهزيمة ، أن المشركين قرروا الهجوم على المدينة في صباح اليوم التالي للمعركة للاجهاز على المسلمين والخلاص من عقيدة التوحيد إلى الأبد ، حتى ندب المحاربين الذين كانوا معه بالأمس للخروج مرة أخرى لمهاجمة المشركين قبل أن يهاجموهم .

يقول ابن إسحق : كان يوم (غزوة) أحـــد يوم السبت للنصف من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذن أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به القوة وأن الذي أصابهم في اليوم السابق لم يوهنهم عن مقاتلة عدوهم .

ووصل رسول الله إلى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فلما وصل إلى جيش المشركين نبأ خروج رسول الله آثروا السلامة والاكتفاء بما تحقق لهم في اليوم السابق فعادوا أدراجهم إلى مكة .

ورابط رسول الله عند حمراء الأسد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى إذا تأكد له بصفة قاطعة إنسحاب المشركين ، عاد بجيشه إلى المدينة منتصراً على الخوف والهزيمة ، معفياً بذلك على كل آثارها ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لن يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وما محمد إلا رسول

على أن أعظم الدروس التي لقنها القرآن الكريم للمسلمين

بمناسبة غزوة أحد هو أن يجعلوا إيمانهم بالله فوق الأشخاص ، على أساس أن الأشخاص تفنى وتزول ويبقى الله أبداً .

فقد كان السبب الأول في هزيمة المسلمين في أحد ما قيل وأشيع أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام قد مات ، فنزل القرآن يذكرهم ، أن محمداً لا يعدو أن يكون إنساناً كبقية البشر ممن يجري عليهم ناموس الموت ، فيقول وهو أصدق القائلين :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ».

ولقد كانت هذه الآية الكريمة هي التي أعادت المسلمين إلى رشدهم وصوابهم يوم مات رسول الله ، عندما وصل الأمر إلى حد أن عمر بن الخطاب ، أقسم ليضربن بسيفه عنق من يدعي أن محمداً قد مات .

وليس سوى أبا بكر الصديق من استضاء قلبه بنور الإيمان في هذا اليوم ، فخرج على الناس ليقول لهم :

أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

وتلا من القرآن هذه الآية التي نزلت بمناسبة غزوة أحـد ، فكانت هي الشافية لما في الصدور . وكان ما كان بعد ذلك من فتوح الإسلام وانتشاره في أرجاء العالمين .

فلنتعـــلم

وبعد فهذه بعض الدروس والعظات المستفادة من غزوة أحد فلنعيها ولنتدبرها ولنستفد منها ، ولنستعين بهـا في محو آثار العدوان ، لا أن نقف فقط عند القول بأن رسول الله قد هزم في غزوة أحد ، لنتعزى بذلك ونستنيم .



محمد علي كلاي

ظاهرة من ظواهر المد الإسلامي في الأمريكتين

عثرت في مكتبتي على تقويم للعـــالم عن سنة ١٩٤٧ وهو التقويم الذي تصدره بانتظام سنوياً The world Almanac جريدة النيويورك تلجرام، متضمناً كل الحقائق العالمية، بالاستناد إلى البيانات الرسمية .

وطبقاً لهذا التقويم فإن عدد المسلمين في أمريكا الشمالية لا يزيد عن «١٤٠٠» ألف وأربعمائة مسلم من عدد السكان البالغ عددهم ١٧٤ مليون أي بنسبة $\frac{١}{١٢٤٠٠٠}$ تقريبـاً وهي نسبة ضئيلة جداً كما ترى .

أما بالنسبة لأمريكا اللاتينية التي يبلغ عـــدد سكانها ٨٣ مليوناً ، فقد ذكر التقويم أنه لا يوجد بها مسلم واحد ، وسواء كان هذا التقرير يدل على حقيقة واقعة ، أم أن البيانات لم تصل

إلى التقويم ، فإن ذلك يدل على عدم شأن المسلمين في أمريكا اللاتينية .

تقويم ١٩٦٥

ولكن تقويم عام ١٩٦٥ لنفس الجريدة ، قد ذكر أن عدد المسلمين في أمريكا الشمالية قد ارتفع إلى ٣٨ ألف من بين عدد السكان الاجمالي البالغ ٢٨٠ مليون . أي أن عـــدد المسلمين تضاعف سبعاً وعشرين مرة في الوقت الذي لم يتضاعف فيه عدد السكان مرة واحدة وأصبحت نسبة المسلمين إلى غيرهم $\frac{١}{٨٠٠٠}$ تقريباً بعد أن كانت $\frac{١}{١٢٤٠٠٠}$.

أما في أمريكا اللاتينية ، التي لم يذكر التقويم مسلماً واحداً بها عام ١٩٤٧ ، فقد قرر تقويم عام ١٩٦٥ أي عدد المسلمين بها يناهز ٣٧٢ ألفاً .

تقويم ١٩٦٦

وفي تقويم ١٩٦٦ أي بعد عام واحد من التقويم السابق زاد عدد المسلمين في أمريكا الشمالية إلى ٣٩ ألف مسلم بينما ظل عدد السكان الاجمالي على حاله تقريباً وهو ٢٨٠ مليوناً ، أما بالنسبة

لأمريكا اللاتينية فقد زاد المسلمون عشرة آلاف فأصبح عددهم ٣٨٢ ألف بعد أن كان ٣٧٢ ألف في العام السابق .

غزوة إسلامية

هذه الأرقام قوية الدلالة على أن الإسلام بدأ يغزو آخر قلاع العالم التي ظلت مغلقة في وجهه حتى الآن ، وهي الأمريكتان اللتان لم تكتشفا إلا منذ خمسة قرون واعتبرت وقفاً على المسيحية .

وكان لا بد للاسلام وقد نفذ إلى الأمريكتين أن يظهر بهما آياته ومعجزاته ، كما كان شأنه دائماً في أي بيئة جديدة ينفذ إليها ، فكان محمد علي كلاي ، الذي اعتبر ظاهرة من ظواهر المد الإسلامي في العالم الجديد .

وأهمية ظاهرة محمد علي ، أنها في الميدان الوحيد الذي كان يمكن أن تشد إليها انتباه الامريكان بكل هذه القوة ، ولو أن تفوقه كان في دنيا العلم ، أو دنيا الفن ، لما طبقت شهرته الآفاق في هذه المدة القصيرة جداً .

والأمريكان الذين كفروا بكل المعنويات ، ولا يعودون يؤمنون إلا بالقوة السافرة ، قوة الجسد ، وقوة المال ، وقوة السلاح ، فليس سوى انتصار محمد علي في دنيا القوة والمال ، ما يحملهم على احترامه وتبجيله والإيمان به .

قصة محمد علي كملاكم

ونحن نعلم كيف بدأت قصة محمد علي كلاي كملاكم ، فقد كان يدعى من قبل كلاسيوس كلاي ، وتحت هذا الإسم أحرز للولايات المتحدة الأمريكية بطولة العالم في الملاكمة في اولمبياد عام ١٩٦٠ ، وافتخرت به امريكا واعتزت واستطالت .

وكان أن احترف كلاسيوس كلاي الملاكمة ، وراح يهزم كل من تقدم لمنافسته ، حتى وصل به نجاحه إلى تحدي ليستون بطل العالم للوزن الثقيل . وكان ليستون وبطولته غصّة في حلق الامريكان ، فله تاريخ عريق في الاجرام ، ووصل إلى بطولة العالم في الملاكمة بقوته الوحشية أكثر من فنه في الملاكمة ، وكان الاسم الذي اشتهر به أبان بطولته « شرير الحلقة » .

وانتصر عليه كلاسيوس كلاي انتصاراً مذهلاً ، جعل الكثيرين يشكون في صحة الملاكمة ، ولكن كلاسيوس كلاي، فاجأ الامريكان والدنيا كلها ، بأن أعلن أنه مسلم وقد نذر إلى الله إذا هو انتصر على ليستون ، أن يعلن إسلامه ويغير اسمه إلى محمد علي .

موجة من الحقد والتعصب

وتحول الامريكان في لحظة واحدة من دنيا الإعجاب والتمجيد لكلاي ، إلى طوفان ضده من الحقد والكراهية والتعصب .

فرفض اتحاد الملاكمة الامريكي ، أن يعترف بملاكمة كلاي مع ليستون الثانية ، في الوقت الذي أعرضت فيه مختلف الولايات عن السماح له بالملاكمة فوق أرضها ، فألغيت مباريات كان قد تحدد موعدها .

ورفضت الاذاعات الامريكية الاسم الجديد محمد علي ، وراحت لا تتحدث عن كلاي إلا بأنه كلاسيوس ، ثم أجمعت على تجاهله بالكلية . وكان من الممكن أن يتراجع محمد علي ، وينهار تحت وطأة هذه الموجة العارمة من الكراهية ، والتي لا تقف عند حد تأثيرها الأدبي ، بل تشمل قبل ذلك الأثر المادي ، وهو حرمانه من مئات الألوف من الدولارات التي تعطى للملاكمين في أمريكا .

بل أن هذه الموجة العارمة من الكراهية والتعصب ، قد تؤدي بحياة محمد علي من أساسها، برصاصة تنطلق من هنا وهناك، فما أكثر الرصاصات الحاقدة المجنونة التي لا تتورع في أمريكا عن قتل أي إنسان ، حتى ولو كان رئيس جمهورية محبوب مثل كندي .

محمد علي يواجه التحدي

ولكن محمد علي لم يعبأ بذلك كله ، وارتفع إلى مستوى التحدي الذي وجد نفسه فيه ، فراح يجوب أوربا والعالم كله ،

دفاعاً لا عن لقبه كبطل للوزن الثقيل ، ولكن عن إيمانه بالله رباً وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً .

وانتصر على طول الخط كما نعرف ، وأذهل الدنيا كلها بهذه الظاهرة التي لا عهد بدنيا الملاكمة بهـا ، وهي خروجه عقب أقسى المعارك بغير أن يمسه سوء ، معلناً أنه على استعداد أن يلاكم في التو واللحظة باقي غرمائه .

وانتهى الأمريكان إلى أنهم هم الذين بدأوا يخسرون وليس محمد علي ، وأن اتحادهم هو الذي يوشك أن يفقد سلطانه كمنظمة دولية يعترف بها الجميع .

فأقيمت له المباريات من جديد في أمريكا ، ووقف الشعب الامريكي بكل جبروته ، وكل وسائل أعلامه من سينما وصحافة وراديو وتليفزيون ، خلف منافسيه ، يهتفون لهم ويصفقون تشجيعاً لهم ، حيث لا ينـــال منهم محمد علي سوى الإزدراء والتصفير والاستهجان . ولكن ذلك كله لم يكن له سوى أثر واحد على محمد علي ، وهو رفع معنوياته أكثر وأكثر ، وازدياد قوة عزمه وإصراره على هزيمـة منافسيه ، فيروح يكيل لهم الضربات باليمين والشمال ، وهو في الحق لا يضربهم وكان يجب أن لا يؤذيهم ، ولكنه كان يضرب فيهم التعصب الذي يمثلونه ، ودنيا الحقد والكراهية التي تقف وراءهم .

آخر الشوط وقمة السلم

وكانت مباراته الأخيرة مع تيريل وهزيمته إياه هذه الهزيمة الساحقة التي جعلت أعدى أعدائه يعترفون له أنه كان بطل الأبطال في كل وقت وزمان ومكان ، فلم يحدث من قبل أن لاكم بطل ثمان وعشرين مباراة لا يهزم في أي منها . ولم يحدث أن دافع بطل عالمي عن لقبه ست مرات في عـــام واحد ، وثمان مرات في أقل من خمسة عشر شهراً .

ويخطىء من يتصور أن هذا التفوق الساحق هو ثمرة التدريب ، أو المهارة ، فإن الصف الطويل من الملاكمين الذين منوا على يده بالهزيمة ، ليس فيهم من لا يقف وراء جيش من المدربين ، وليس فيهم من وصل إلى ما وصل إليه إلا لمهارته البالغة في فنه .

سر محمد علي

إن سر محمد علي أنه يؤمن بالله ، يؤمن أنه بانتصاره يدافع عن قضية الحق وهي قضية الزنوج والإسلام ، وهو لا يكف عن إذاعة هذا السر والتحدي به .

ولست أشك لحظة ان عـــدد المسلمين في الولايات المتحدة سوف يتضاعف في الأيام والسنوات المقبلة بفضل إيمان محمد علي ، بل إن الدنيا كلها التي أصبحت تتابع مبارياته لا يمكن إلا أن تتساءل عن الإسلام ، الذي يحقق محمد علي في ظله هذه الانتصارات .

وكل ما يحتاجه الإسلام ، هو لفت النظر إليه ، فهو بمبادئـــه الإنسانية السامية كفيل أن يغزو قلوب كل الذين يقتربون منه .

دعـــاء

فلندع الله جميعاً أن يثبّت إيمان محمد علي ، وأن يجنبه الزلل والإنحراف ، وأن يصونه من عبث الدنيا ومغرياتها ، ليظل علماً خفاقاً على الإسلام والمسلمين .

وغني عن البيان ، أن مستقبل محمد علي بعد الآن بين يدي الله ، ولكن الحقيقة الثابتة التي سجلها التاريخ حتى الآن ، هو أن محمد علي ظاهرة فذة من ظواهر الإيمان في دنيا طغت عليها المادة ، وأنه أحـــد علامات الطريق الذي يدل على أن الإسلام يشق طريقه في قوة وسرعة في العالم الجديد .

ولكن حدث أثناء طبع هذا الكتاب في شهر مايو – أيار سنة ١٩٦٨ أن المحكمة الامريكية التي تتهم محمدعلي كلاي بالهرب من خدمة الجيش الامريكي قد حكمت عليه بالسجن ٥ سنين ، يعني لو كان غير زنجي وغير مسلم ، أكانوا يحكمون عليه ؟

لا مستقبل للإنسانية
إلا في ظل السلام والتعاون الدولي

عاش الإنسان الجزء الأكبر من حياته كإنسان على هذا الكوكب ، يرى في نفسه نوعاً ، يختلف عن سائر ما في الدنيا من أنواع ، فلم يبذل نشاطه في معاداة نوعه ، فضلاً عن أن يعمل على القضاء عليه ، وإنما كرس جهده في التغلب على ما يعرض له من مشاكل طبيعية ، ساعياً لتوفير طعامه وملبسه ومأواه ، من خلال التعاون مع أبناء جنسه وأفراد نوعه .

والرأي على أن الإنسان لم يعرف الحرب فيما بين جماعاته إلا في وقت قريب جداً ، يقول لنا جوليان موكسلي في كتابه « الإنسان في العالم الحديث » :

« الحرب ظاهرة بيولوجية نادرة جداً ، وليس يوجد إلا نوعان من الحيوانات من عادتهما الاشتباك في الحروب ، وهما الإنسان والنمل ؛ بل إن النمل لا يمارس الحرب منه غالباً إلا

جماعة واحدة . وكثير من علماء تاريخ السلالات البشرية يعتقدون أن الحرب ، أو على أية حـال الحرب المنظمة المألوفة لم تنشأ في مراحـل تطور الإنسان ، إلا عندما وصـل إلى طور المدنية المستقرة ، وبدأ يكنز الحبوب وغيرها من صنوف الثروة ».

ونحن نعلم أن عصر المدنيات والحضارة لم يبدأ إلا منذ سبعة آلاف سنة على الأكـثر على حوض النيل والدجلة والفرات . عندما بدأت الجماعات المتقاربة تتوحد في تشكيلات جماعية أكبر وأكبر ، حيث تخضع لأمير أو ملك .

ثم بدأت هذه الوحدات تدخل في حروب مع جيرانها ، فلم تعد الحرب ، حرب قبائل متجاورة ، وإنمـا حرب دول ضد بعضها ، وقامت امبراطوريات مصر القديمة ، وآشور ، وبابل ، وفارس تحاول فرض سلطانها على جيرانها من الدول الأخرى ، ولم تلبث كل بدورها أن وجدت من ينازعها الغلبة والسلطان ، من خلال المعارك والحروب .

ولكن الظاهرة المؤكدة ، أن تيار الحضارة والمدنية ، ظل يتدفق دوماً نحو الأمام ، لا تنال منه هذه الحروب الجزئية المحدودة ، ولا يعرقل سيره قيام امبراطورية وانهيار أخرى ، بل إن الشاهد والثابت أن الحوادث المختلفة ، قد أغنت دائماً التطور الحضاري وأثرته . فليس سوى الاحتكاك والمنافسة والرغبـة في الدفاع عن النفس كان حافزاً للعقل البشري على الخلق والإبداع .

ولقد كتبت منذ أكثر من عشرين سنة ، والحرب العالمية الثانية مشتدة الأوزار ، رسالة في موضوع الحرب ، حاولت أن أثبت فيها أن كل تقدم آلي وتكنيكي حققه الانسان ، إنما تم من خلال الحروب التي جهزته بأسلحة ، لم يلبث أن استخدمها في أيام السلم فزادت في قدرته على الانتاج ورخائه.

وهذه حقيقة مؤكدة ، لا يمكن إنكارها ، فقد عاشت البشرية حتى الآن ، بل وتقدمت وازدهرت وهي تمسك الفأس في يد تزرع وتنتج ، والسيف في اليد الأخرى تقتل به وتذبح .

الأسلحة النووية :

ولكننا وصلنا الآن إلى مرحلة لم تعد الفأس فيها كافية لإطعام بني الإنسان ، فلا بد من جرارات وكيماويات ، كما لم يعد السيف هو أداة القتال ، وإنما قنابل ذرية وهيدروجينية ، وقنابل كوبالت يطلق عليها اسم قنبلة « يوم القيامة ».

والرأي على أن هذه القوى ، لو انطلقت من عقالها ، لما بقي على ظهر الأرض انس .

ان الثقات يجمعون على أنه لو قامت حرب ذرية في العصر الحديث ، فان ضحاياها يتجاوزون في الساعات الأولى للمعركة ثلثمائة مليون نسمة ، من سكان المدن الكبرى ، ومراكز الانتاج الصناعي والعلمي والثقافي ، أما استمرار الحرب بعد ذلك لبضعة

أيام ، فان هذا يعني فناء البشرية كلها .

ولننقل لك فقرة من تقرير هيئة الأمم عن نزع السلاح لعام ١٩٦١ :

« إننا نشك في استمرار وجود العالم بأي شكل من الأشكال دون نزع السلاح ، إن شبح الموت يسيطر علينا ، فان طيران سرب من الأوز البري في هدوء عبر أركاتيكا البيضاء (القارة القطبية) ثم يدخل في نطاق تحذير شاشة رادار أمريكي أو سوفييتي ، تتصوره الشاشة على أنه صواريخ ، فتتأهب حكومة الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفييتي للقيام بالضرب النووي المضاد كما تقضي الحالة ، فيبدأ اعصار الحرب النووية ، بينما يطير الأوز في هدوء إلى الأمام .. »

والحق أن الأوز سيكون هو المخلوق الوحيد الذي يظل حياً بعد حرب عالمية .

ولا يظن القارىء أن هذا الذي ختمت به لجنة نزع السلاح تقريرها مجرد فرض نسجته من وحي الخيال ، فهي إنما تشير إلى حادث وقع بالفعل ، فان محطة الرادار النووية الموجودة في شمال جرينلند المخصصة للانذار عند اقتراب قاذفات القابل السوفيتية حدث أن أعطت الانذار ، فقام الطيارون المدربون على أن يكونوا في الجو في ظرف دقيقتين بطائراتهم حاملة القنابل الهيدروجينية ثم اتضح للرادار أن القذيفة التي شوهدت على

شاشة الرادار لم تكن إلا سرباً من الأوز[1].

فالحروب الذرية اليوم إذا اندلعت ، لـن تكون كحروب الأمس ، التي سمحت للحياة الانسانية بل وللحضارة الانسانية ، بالنمو والتطور ، إنها حرب افناء إن لم يكن للجنس البشري ، فعلى الأقل لحضارته .

الانفجار الانساني :

على أن ثمة خطراً أصبح يهدد الانسانية لا يقل في أثره على المدى الطويل من خطر الحرب الذرية ، وهو ما أصبح يعرف باسم الانفجار السكاني . ذلـك أن البشر يتزايدون بمعدل ثلاثة أشخاص كل ثانيتين، أي بمعدل تسعين شخصاً في الدقيقة الواحدة و ٥٤٠٠ شخص كل ساعـــة أو ١٢٩٫٦٠٠ شخص كل يوم . و ٤٧٫٣٠٠٫٠٠٠ شخص في السنة أي ما يزيد على مجموع سكان فرنسا بأجمعها .

وقد أجمعت كل الكتب التي ألفت قبل عام ١٩٦٠ على أن سكان العالم سيصلون في ختام القرن العشرين ، أي بعد ٣٢ سنة من الآن ، إلى ثلاثة آلاف مليون نسمة . وقـد استند المؤلفون على بيانات هيئة الأمم الدقيقة التي تصدرها كل عام حول عدد المواليد. وكان هناك تخوف من بلوغ العالم هذا العدد من السكان.

---

(١) « الأمة الانسانية » للمؤلف .

ويتجلى خطر الانفجار السكاني عندما تعلم أن العالم قد تجاوز هذا القدر منذ عام ١٩٦٥ ، فلم يعد الأمر بحاجة للانتظار اثنين وثلاثين عاماً ليبلغ مجموع البشر ثلاثة آلاف مليون نسمة .

والتقدير الآن لسكان العالم في ختام القرن أي عام ٢٠٠٠ يتراوح بين ستة آلاف مليون وسبعة آلاف مليون ، أي أكثر من ضعف ما كان مقدراً من البداية .

ويقول الخبراء ، ان العالم لو استمر في الزيادة السنوية بهذا المعدل ، فان عدد البشر سيبلغ حداً لا يعود سطح الأرض كافياً لموطىء قدميه ، وذلك بعد بضعة قرون فقط [١].

ومعنى ذلك ، أن انقاذ العالم من حرب ذرية ، يفضي إلى سلام ينتهي إذا لم يتضافر البشر على مواجهته إلى الفناء كذلك .

ضرورة التعاون بين البشر :

ولا سبيل لإنقاذ البشرية من هذا الخطر الآخر ، إلا بالعمل على رفع مستوى الشعوب المختلفة شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، ذلك أن هذه الزيادة المخيفة لسكان العالم، إنما تتدفق من هذا الجانب ، فحيث لا يتزايد سكان أوروبا إلا بنسبة ٩٪ من الواحد الصحيح في المائة ، فإن شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية تتزايد بنسبة ٢٫٣٪ كل عام .

---

(١) « الأمة الانسانية » للمؤلف .

ومن الظواهر الثابتة ، أنه كلما زاد رقي الإنسان ، كلما قل نسله : يتجلى ذلك في نفس انسال أهل المدن عن أهل الريف ، ونقص انسال الأغنياء عن الفقراء ، والدول المتحضرة عن الدول المتخلفة. والارتقاء بالشعوب المتخلفة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، لا يمكن أن يتم إلا من خلال تعاون عالمي ، يضع فيه القادرون امكانياتهم العلمية والتكنولوجية ، من أجل مضاعفة الانتاج الزراعي الرأسي ،باستخدام الآلات والكيماويات وأحدث الأساليب العلمية ، والأفقي بزراعـــة أرض جديدة ، بدلاً من الغابات والمستنقعات والصحاري ، وتحويل البحار الـتي تؤلف ثلثي مساحة الكرة الأرضية ، إلى مصدر رئيسي للغذاء وكل ما يحتاجه الانسان من معادن .

المائة عام القادمة :

وقد وضعت خطط محسوسة ومدروسة للارتفاع بالانسانية كلها في المائة عام القادمة إلى مستوى الحياة الامريكية ،وقدرت موارد الأرض ومصادرها ، فوجد أنهـا تكفي البشر لتحقيق هذا الذي يعتبر حلمـاً ، شريطة أن يبدأ البشر منذ الآن تعاونهم في صدق واخلاص ، في ظل هيئة الأمم ، وسيادة حكم القانون في علاقة الشعوب ببعضها[1].

---

(١) « الأمة الانسانية » للمؤلف .

نموذج من العالم العربي :

ولكي نقرب هذه الصورة إلى أذهان القارىء الكريم ، ما علينا إلا أن نسوق له مثالاً من واقعنا العربي وكيف أن تعاونه مع بعضه ، ومع بقية دول العالم في صدق واخلاص يصل بسكانه إلى الذروة في الوقت الذي سيظل يغص بمشاكل الفقر والجهل والمرض ، إذا ظل على تشتته وخلافاته .

تبلغ مساحة العالم العربي ١١ مليون كيلو متر مربع ، أي قدر مساحة اوروبا ، ومع ذلك فان عدد سكانه لا يزيد عن تسعين مليون نسمة في الوقت الذي يسكن اوروبا ٤٣٤ مليون نسمة .

وحيث يمثل سكان العالم العربي ٣٪ من سكان العالم فانه ينتج من القمح ٣٥٪ من الانتاج العالمي أي ٧ مليون طن. وينتج من الحبوب الغذائية من قمح وشعير وذرة سبعة عشر مليون طن أي أنه يخص الفرد الواحد ٢٠٠ كيلو جرام سنوياً ، وهو قدر محترم .

وينتج العالم العربي ٣ وربع مليون طن من الكروم وهو ما يساوي ٨٪ من الانتاج العالمي و ١٫٥ مليون طن من الحمضيات وهو ما يساوي ٩٪ من الانتاج العالمي .

ويوجد بالعالم العربي من الثروة الحيوانية أكثر من مائة مليون

رأس ما بين أبقار وجاموس وإبل وأغنام أي أكثر من رأس لكل فرد ، من افراده .

وقصة البترول العربي أصبحت معروفة ومشهورة ، فقد استوردت أوروبا ١١٨ مليون طن من بترول العرب عام ١٩٦٠ مقابل ١٥ مليون طن وصلت غرب أوروبا من نصف الكرة الغربي،وقد زادت هذه الأرقام في السنوات التالية بطبيعة الحال.

والأمر المجمع عليه أن ٦٠٪ من بترول العالم موجود في البلاد العربية ، ولما يكتشف بعد البترول في صحراء العرب الكبرى ويقدر المخزون بها .

ويبلغ دخل الكويت سنوياً من البترول ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، حيث لا يزيد عدد سكانه على ثلث مليون .

ويوجد في السودان وحده مائة مليون فدان صالحة للزراعة ولكنها لا تزرع لعدم وجود الأيدي العاملة التي تزرعها[1].

وفي العراق وسوريا ، أراض زراعية تقدر بملايين الأفدنة لا تجد من يزرعها لقلة اليد العاملة ، وتعاني ليبيا بعد اكتشاف البترول بها من قلة الأيدي العاملة .

وذلك في الوقت الذي يتزايد فيه سكان مصر إلى الحد من زيادة السكان مشكلة المشاكل التي تشغل بال الدولة ،

---

(١) الدكتور محمد صبحي حكيم – الموارد الاقتصادية في العالم العربي .

إذ تلتهم الزيادة السنوية ، كل محاولة لزيادة الانتاج لرفع مستوى الشعب المصري .

قارة افريقيا :

هذا الوضع بالنسبة للبلاد العربية ، هو بعينه الوضع بالنسبة لافريقيا كلها ، فحيث يمكن اعتبار قارة افريقيا أغنى قارة في الدنيا ، ففيها من الطاقة المتاحة التي يمكن توليدها من مساقط الأنهار ثلاثة أضعاف ما تنتجه أوروبا من هذه الطاقة ، وحيث تنتج ٩٨٪ من الماس في العالم وأكثر من نصف ذهب العالم ، وكانت حتى وقت قريب هي المصدر الوحيد لانتاج اليورانيوم ، وحيث توجد بها أعظم ثروة حيوانية في العالم .

وحيث لا يتجاوز عدد سكانها عن ٢٥٠ مليون نسمة، فهي آخر قارات الدنيا من حيث التخلف بالرغم من تحرر أغلب شعوبها سياسياً ، وستبقى كذلك لعدة أجيال ، إذا ظلت على فرقتها وخلافاتها وتنابذها .

علاج العالم العربي والافريقي الانساني :

ولا علاج للعالم العربي ، كما لا علاج للعالم الافريقي، والعالم الانساني في مجموعه ، إلا إذ ارتفع إلى مستوى المسئولية التي أوصله إليها العلم الحديث، وراح ينظر لمصلحته الخاصة باعتبارها

جزءاً من المصلحة العامة ، لا يتحقق عن غير طريقها ، فيتكلم بلغة جديدة ، ويصوغ العلاقات بين الدول على أسس جديدة ، مما فصلناه في كتابنا « الأمة الانسانية » .

وبغير هذا التعاون الدولي الصادق ، فان مستقبل الانسان على ظهر هذا الكوكب قـــد أصبح في خطر ، وفكرة فناء البشرية ككل لم تبعد في أي يوم من الأيام،عن خاطر الانسان.

وهذا هو القرآن الكريم يصور لنا هذه الامكانية بقوله :

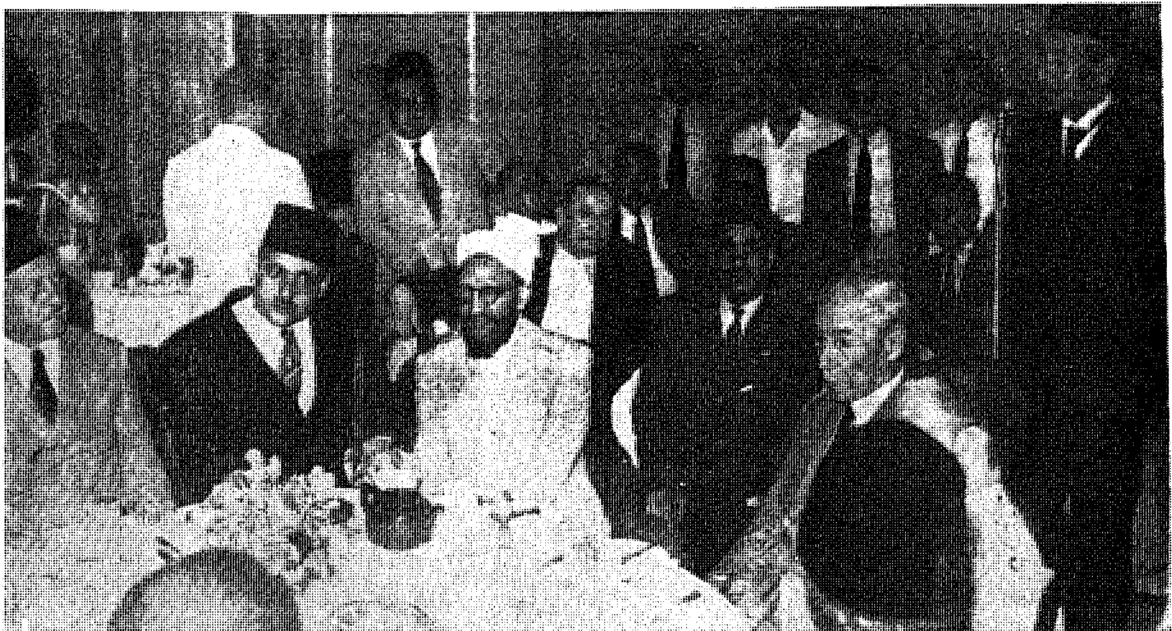
« حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت ، وظـن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهـاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ».

والكلمة الآن لبني الانسان ، إن شاءوا ارتفعوا بمستواهم ، وحسنوا أحوالهم ، واستداموا حضارتهم ، أو عرضوا أنفسهم للخراب والدمار ، وجعلوا ما على سطـــح الكوكب الانساني حصيداً كأن لم يغن بالأمس .

والحمد لله رب العالمين



مظاهرة بالسيارات استقبلت الاستاذ احمد حسين في مطار القاهرة عند عودته من اميركا سنة ١٩٤٧ ويرى واقفاً الى يسار القارىء في السيارة وإلى جانبه الاستاذ محمد علي الطاهر ويجلس بينهما الزعيم السوداني السيد اسماعيل الازهري « رئيس جمهورية السودان اليوم سنة ١٩٦٨ » ووقف بعدهم الاستاذ ابراهيم شكري عضو البرلمان بعد ذلك .



قام الاستاذ احمد حسين بزيارة للأمم المتحدة بنيويرك لخدمة قضية مصر سنة ١٩٤٧ فأقيمت لتكريمه بالقاهرة بعد العودة حفلة شاي بالكونتيننتال . ويظهر في الصورة من اليسار محمد صالح باشا حرب فالاستاذ احمد حسين فالسيد المجددي سفير افغانستان وخلفه السيد الورتلاني الزعيم الجزائري فالاستاذ الحصري المحامي فعزيز باشا المصري ووقف خلفه بجوار المائدة الرئيسية الاستاذ محمد علي الطاهر وهو يخطب امام المكرفون.

صورة تضم من اليمين الاستاذ احمد حسين حينما زار دمشق الشام ١٩٥٥ فاحتفلت به سوريا ، وكان من زواره في محل نزوله الرئيس فارس بك الخوري الزعيم السوري الكبير وهو بالنظارة السوداء يتحدث معه وبعده الاستاذ محمد علي الطاهر فالاستاذ حسني كنعان الموسيقار الفلسطيني نزيل دمشق .



قام الاستاذ احمد حسين سنة ١٩٥٥ وهو في دمشق برد الزيارة لدولة الزعيم السوري الكبير فارس بك الخوري في داره . بحضور السادة بديع بك المؤيد رئيس البرلمان السوري سابقاً الاول إلى يسار فارس بك ويليه الدكتور اسعد الحكيم عضو المجمع العلمي السوري فالاستاذ احمد حسين فالاستاذ محمد علي الطاهر .

كتب للمؤلف

كتب سياسية :

١ – إيماني (طبعتان) نفد

٢ – الأرض الطيبة »

٣ – الاشتراكية التي ندعو إليها »

٤ – قصة مصر (بالإنجليزية والعربية طبع نيويورك) »

٥ – رسالة إلى هتلر(» » » ») »

كتب اجتماعية :

٦ – الزواج والمرأة – بحث في حقوق المرأة السياسية والإجتماعية في الإسلام »

٧ – رسالة في الحرب »

★ ٨ – نحو المجد – بحث في العلم والمال »

★ ٩ – الطاقة الإنسانية – طبعتان – دار القلم – وصفه العقاد بأنه كتاب الموسم وأنــه من أعظم ما طالع في سنواته الأخيرة .

★ ١٠ – في الإيمان والإسلام – طبعتان – دار القلم

★ ١١ – تاريخ الإنسانية (طبع دار القلم)

★ ١٢ – الحج ، أسراره ومناسكه (طبع دار الانجلو)

★ ١٣ – الأمة الإنسانية

★ ١٤ – كوكب الإنسانية (طبع دار المعارف)

كتب رحلات :

١٥ ـ مشاهداتي في جزيرة العرب نفد

١٦ ـ يقظة العملاق – رحلة إلى بورما (طبع جريدة الأهرام) »

١٧ ـ أمة تبعث ـ رحلة في الهند (طبع جريدة المصري) »

★ ١٨ ـ من وحي الجنوب – رحلة في جنوب السودان (طبع دار المعارف) طبعتان

كتب قانونية ومرافعات :

١٩ ـ حكومة الوفد (مرافعة) »

٢٠ ـ قضية تحطيم الحانات (مرافعة) »

٢١ ـ قضية مقتل النقراشي (مرافقة) »

٢٢ ـ مرافعة أحمد حسين في قضية التحريض على حرق القاهرة »

٢٣ ـ علاقات العمل وهيئات التحكيم »

★ ٢٤ ـ مجموعة تشريعات العمل والتعليق عليها »

★ ٢٥ ـ قضية التحريض على حرق القاهرة ـ وثائق ومقالات وأحكام خالدة في تاريخ مصر

مذكرات :

٢٦ ـ وراء القضبان ـ مذكرات المؤلف عن اعتقاله خلال الحرب العالمية الثانية(طبع جريدةالمصري) »

٢٧ – في ظلال المشنقة – مذكرات المؤلف عن فترة اتهامه في حريق القاهرة (طبع جريدة المصري) نفد

مسرحيات :

٢٨ – من الحياة – مسرحيتان من ذات الفصل الواحد

٢٩ – نور يسطع في الظلام (مترجمة عن تولستوي)

القصة الثلاثية :

★ ٣٠ – أزهار (قصة مصر في الثلاثينات)

★ ٣١ – الدكتور خالد (قصة مصر في الأربعينات)

★ ٣٢ – واحترقت القاهرة (قصة مصر حتى قيام الثورة)

تحت التأليف

موسوعة تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى اليوم، بالتعاون مع الاستاذين أحمد عزت وأنور الجندي .

★ الكتب الموضوع أمامها هذه العلامة هي من انتاج المولف في هذه السنوات الأخيرة ، وهي تطلب من مكتبة الانجلو ١٦٥ شارع محمد فريد (عماد الدين سابقاً)القاهره، ودار الثقافه العامة ٨ شارع البستان ـ القاهرة.

فهرس

طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت - ص.ب ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٣٠٤٣

٦٨/٣٣٠٠/١٥٢١